

كتاب

الحصون الحميدية

لمحافظة العقائد الاسلامية

تأليف حضرة استاذنا العلامة العامل والجهبذ
الكامل صاحب الفضيلة السيد الشيخ حسين
افندي الجسر مؤلف الرسالة الحميدية الافخم
غفر الله تعالى ذنوبه وستر عيوبه
بمنه وكرمه امين

(ملتزم طبعه الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي)

طبع بمطبعة التوفيق بمصر سنة ١٣٢٣ هجريه

رحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ اشرف المرسلين * وعلى آله وصحبه اجمعين * اما بعد فيقول الفقير الحقير الراجي من الله غفران الوزر * عبده حسين بن محمد الجسر *الطرابلسي عفا الله عنه* انه من المعلوم المسلم عند كل مطلع على تاريخ الامة المحمدية ان ايمان اهل الاسلام* بجميع ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام * كان في عصره عصر السعادة مستنداً للقرآن الشريف * وحديث الرسول المنيف * مؤيداً بادلة العقل السليم * الناهج في المنهج القويم * خالصاً من شوائب الشبه والاهواء * سليماً من غوائل الاغاليط واختلاف الآراء * فلذلك كانت ثمراته يانعة *وزواهره ساطعة* فكنت ترى افراد الامة محافظين على اقامة العبادات * وانتظام شأن المعاملات * ممتثلين للاوامر * منتهين عن المناكر * متحلين باخلاق الدين الحسنة * وآدابه المستحسنة * لانه متى

طاب الاصل طابت الفروع * وعذوبة الماء تنشأ عن صفاء الينبوع * وقد دام ذلك في المسلمين * وجماعة الموحدين * الى ان امر احد الخلفاء العباسيين بترجمة كتب الفلاسفة المتقدمين الى اللغة العربية . وانتشرت تلك التراجم بين الامة الاسلامية* ونشأ من الاطلاع عليها شبه زعزعت ايمان ضعفاء المسلمين * ومن ليس عندهم تمكن في معرفة اصول دين سيد المرسلين * فانبرى عند ذلك علماء الامة المحمدية وائمتها الاعلام . المتمسكون بما كان عليه المصطفى واصحابه عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام . يردون القلوب الشوارد * و يدفعون تلك الشبه بما يرغم انف كل معاند * حتى رأيت كتبهم مزدانة بالدلائل القطعية * على اثبات العقائد الدينية * وصادعة بردود الشبه التي كانت على الضعفاء اعظم بلية * فحفظ الله تعالى بصنيعهم ايمان الامة من الغوائل * وحصنه من صدمات الشبه باقوى الدلائل * وقد استمر الحال * على هذا المنوال * الى ان ظهرت في هذه العصور الاخيرة * الفلسفة الحديثة * التي خالف فيها اربابها طريقة اسلافهم الفلاسفة المتقدمين * واعتمدوا في ذلك اصولاً في الرياضيات. والطبيعيات لم تكن تعرف قبل هذا الحين * وانتشرت هذه الفلسفة بواسطة المطبوعات بين اهل

الاسلام * ونشئت عنها شبه لم تكن معهودة في غابر الاعوام *
وصار كل عاقل يخشى على ايمان الضعفاء من غوائل هذه الشبه
الجديدة * فتجدد الاحتياج الى استئناف الردود السديدة *
وتأليف كتب في حفظ الايمان مفيدة * ولما منّ الله تعالى على
اهل هذا العصر * بخليفة رفعت لجلالته الوية الشرف والفخر *
ونشرت لحضرته رايات العز والنصر * وسار في اصلاح الرعية
سيراً عجيباً * وسلك في نجاح البرايا سلوكاً غريباً * وقام على
اقدام الاقدام * ونشر منشور فضله على عموم الانام * وصرف
اوقاته لنفع الخاص والعام * وبسط بساط المراحم لكافة تبعته *
وافاض فيوض المكارم على جميع صنوف رعيته * الا وهو ثاني
القمرين * ومحي سنة سيد الكونين * ناصر الشريعة الغراء *
ورافع لواء المحجة البيضاء * سلطان سلاطين العرب والعجم *
ومعيد ما اندرس من آثار سالف الامم * الخليفة الاعظم *
والخاقان الافخم * السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
* عبد الحميد * خان ابن السلطان الغازي عبد المجيد
خان نصره الله تعالى وادامه * ورفع على ذروة الخافقين بالفتح
المبين اعلامه * وجه عنايته حفظه الله تعالى الى احوال العلوم
والمعارف * والفت الطرف الى شؤون الفضائل والعوارف *

فرآها بلسان الحال تشكو لجلالته * وتطلب احياءها بالمنحة من انظار دولته * فرثى لحالها * واصغى لمقالها * وسمع دعواها * ولبي شكواها * فشيد لها المكاتب والمدارس * واحضر لها من الكتب والرسائل انفس النفائس * وساق اليها المعلمين من اقطار الارض * وامر باحياء دارسها واطاعة امره فرض وايّ فرض فقرئ فيها من العلوم والفنون * ما يسر القلب المحزون * ولم تزل المعارف تنشر في البلاد * وتتضاعف ثمراتها وتزداد * حتى استنقذت شبان الرعية من ظلمات الجهل * ونورت افكارهم بانوار العرفان والفضل * وقد علت بذلك هممهم * وازدادت بحسن معارفهم قيمتهم * الا ان ما احدثته الفلسفة الحديثة التي نقلت الينا على متون المطبوعات من غوائل الشبهات * قد يخشى منه زيغ عقائد شبان ضعفاء الامة ووقوعهم في الضلالات * فكان المطابق لرضائه العالي * والموافق لرأي جلالته السامي * تأليف كتاب مختصر يشتمل على تقرير العقائد الاسلامية ببراهينها العقلية * و يتكفل بدفع تلك الشبه التي حدثت من الفلسفة الجديدة * وسواها من الاغاليط المضرة بالعقيدة * مع بيان ما يقضي بجلب قلوب شبان المسلمين * لمحبة الدين المبين * والتعشق لحضرة سيدنا ﷺ محمد ﷺ سيد المرسلين * صلوات

الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه اجمعين * عسى ان تعم قراءته في جميع المكاتب السلطانية والمدارس الشاهانية * محافظة على عقائد تلامذتها من اهل الملة الاسلامية والشريعة المحمدية * فوفقت لهذه الخدمة الشريفة التي ينتج عنها ان شاء الله تعالى بانظار خليفة رسول الله الخبر العظيم لعموم الامة الاسلامية وتكون حسنة من حسنات شوكته حفظه الله وغرة من غرر عصره الحميدي السعيد المؤيد بتوفيق الله تعالى فجاء كتاباً يسر قلوب المؤمنين * ويقر اعين الموحدين * مشتملاً على مقدمة وثلاثة ابواب كل باب منها يشتمل على فصول * تحتوي على ما تمس الحاجة اليه من مهمات الاصول * وعلى خاتمة تشتمل على بيان وجوب الخلافة في الدين المحمدي المبين * وما لها من حقوق الاطاعة على عموم المسلمين * وهو حقيق بان يسمى (الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية) فنتوسل الى الله تعالى بروحانية حبيبه الاعظم * صلى الله تعالى عليه وسلم * ان يؤيد عرش الخلافة العظمى بطول عمر وحياة مولانا الخليفة الاعظم ويحفظ ذاته الكريمة ويؤيده بالنصر المكين والفتح المبين اللهم امين

المقدمة

«وهي تشتمل على اربعة ابحاث»

البحث الاول

«في تعريف علم التوحيد وثمرته وفضله وافتراض تعلمه
على كل مكلف»

اعلم ان علم التوحيد هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالادلة اليقينية وثمرته هي معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الابدية وهو اصل العلوم الدينية وافضلها لكونه متعلقاً بذات الله تعالى وذات رسله عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيدنا آدم الى سيدنا محمد عليه وعليهم افضل الصلاة والتسليم ولكن لما كان الشيخ ابو منصور الماتوريدي والشيخ ابو الحسن الاشعري اشهر من دون كتب هذا العلم واقام الادلة والبراهين على رد ما قاله المخالفون شاع انهما الواضعان له ويفترض تعلمه على كل مكلف من ذكر وانثى ولو بادلة اجمالية واما معرفة ادلته التفصيلية فهي

فرض كفاية اذا قام بها بعض الامة سقط الطلب عن الباقين والصحيح ان من قلد غيره في العقائد الدينية بان يعتقدها اعتقاداً جازماً لا يقبل الشك والتردد يكون ايمانه صحيحاً ولكنه يكون آثماً بترك النظر في الادلة ان كان قادراً على ذلك والا فلا وانما سمي هذا العلم علم التوحيد لان اشهر مباحثه البحث عن توحيد الله تعالى وهو اساس الدين .

﴿ البحث الثاني ﴾

« في بيان حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام »

اعلم ان الايمان الذي كلف الله تعالى به عباده وجعل جزاءه دخول الجنة والنجاة من النار هو تصديق سيدنا ﴿ محمد ﴾ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة اي اعتقاد صدقه عليه الصلاة والسلام اعتقاداً جازماً فيما جاء به عن الله تعالى وعلم مجيئه به يقيناً مع الاذعان القلبي لذلك وذلك مثل الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وافتراض الصلاة وبقية العبادات الاسلامية من الزكاة والصيام والحج على المستطيع وتحريم قتل النفس المعصومة ظلماً والزنا وامثال ذلك

والاسلام هو الخضوع والانقياد باطناً وظاهراً لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وعلم مجيئه به بالضرورة اي علم مجيئه به يقيناً فكل من الايمان والاسلام المنجيين لا ينفك عن الآخر فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن لان المصدق ذلك التصديق للرسول عليه السلام لا بد ان يكون خاضعاً لما جاء به عليه السلام والخاضع هذا الخضوع لا بد ان يكون مصدقاً ذلك التصديق ثم ان النطق بالشهادتين وهما اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله قد جعل شرطاً لازماً لاجراء الاحكام الدنيوية على المؤمن من نحو مناكحته والصلاة خلفه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين فاذا لم ينطق بها لعذر كالخرس او لم يتمكن من النطق بهما بان مات عقب ما آمن بقلبه او اتفق له عدم النطق بهما بعد الايمان بقلبه ايضاً فهو مؤمن عند الله تعالى وناج في الآخرة لكن من امتنع عن النطق بهما عناداً بعد ان عرض عليه ذلك فهو كافر والعياذ بالله تعالى ولا عبرة بتصديقه القلبي الذي يحصل منه لان هذا الامتناع قد جعله الشرع منافياً للايمان وحكم بكفر صاحبه

﴿ المبحث الثالث ﴾

« في بيان ما اعتبره الشرع منافياً للايمان ومبطلاً له »
« والعياذ بالله تعالى »

اعلم ان الشرع الشريف نهى وحذر عن الامور المنافية للايمان وحكم بكفر من يرتكبها وان كان مصدقاً بقلبه ومنقاداً لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك مثل السجود لصنم اختياراً او الاستهانة بما عظمه الدين كالقرآن الشريف وحديث الرسول المنيف والشريعة المطهرة ورسل الله الكرام واسمائه العظيمة وصفاته الكريمة واوامره ونواهيه والفرائض الدينية كالصلاة والحج او الشتم لواحد مما ذكر او التلفظ بكلمة الكفر او نحو ذلك فان هذا وامثاله ينافي الايمان ويحكم على مرتكبه بالكفر والخذلان وكذلك اذا كذب الانسان شيئاً من النصوص الشرعية الثابت ورودها عن الرسول عليه الصلاة والسلام يقيناً كآيات القرآن واحاديث الرسول المتواترة عنه عليه السلام اي التي نقلها الجماعة الكثيرون الذين يؤمن توافقهم على الكذب او استحل حراماً ثبتت حرمته في الشرع قطعاً وظهرت حكمة قبحه كقتل النفس المعصومة والزنا وامثال ذلك

فان ذلك الانسان يكون قد اخل بالتصديق الايماني والانقياد الاسلامي واتى بما يبطلها ويحكم عليه شرعاً بالكفر وعلى كل من كفر والعياذ بالله تعالى ان يبادر لتجديد ايمانه واسلامه ويتوب مما ارتكبه والا فيستحق القتل في الدنيا والخلود في النار في الآخرة نعوذ بالله تعالى وبه نعتصم

﴿ البحث الرابع ﴾

« في احكام العقل الثلاثة وهي الوجوب والاستحالة والجواز »

اعلم انه لما كان الايمان بالله تعالى على ما سيأتي هو معرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه سبحانه وكذلك الايمان ببقية ما يجب الايمان به من نحو الرسل والملائكة لزم ان نبين معنى الوجوب والاستحالة والجواز العقليات التي انحصرت بها احكام العقل وليس له حكم سواها فنقول اما الوجوب العقلي فهو عدم قبول الانتفاء والشيء الذي لا يقبل الانتفاء يقال له الواجب العقلي مثاله كون الواحد نصف الاثنين ووجود خالق العالم فكون الواحد نصف الاثنين واجب عقلي ووجود خالق العالم واجب عقلي لا يقبلان الانتفاء والعدم لكن الاول واجب عقلي بديهي لا يحتاج الى دليل والثاني واجب

عقلي نظري يحتاج الى دليل واما الاستحالة فهي عدم قبول الثبوت والشيء الذي لا يقبل الثبوت يقال له المستحيل العقلي ويسمى محالا ايضاً مثاله كون الثلاثة نصف العشرة ووجود شريك لخالق العالم فكون الثلاثة نصف العشرة مستحيل عقلي ووجود شريك لخالق العالم مستحيل ومحال عقلي لكن الاول مستحيل عقلي بديهي لا يحتاج الى دليل والثاني مستحيل عقلي نظري يحتاج الى دليل .

واما الجواز فهو قبول الثبوت والانتفاء . والشيء الذي يقبل الثبوت والانتفاء يقال له الجائز العقلي مثاله سفر زيد او قلب الحجر ذهباً بقدرة الله تعالى فسفر زيد جائز عقلي وقلب الحجر ذهباً بقدرة الله تعالى جائز عقلي لكن الاول جائز عقلي بديهي لا يحتاج الى دليل ويسمى عادياً ايضاً بمعنى انه يحصل وقوعه في العادة ولا تستغرب به العقول والثاني جائز عقلي غير بديهي يحتاج ثبوت جوازه الى دليل ويسمى غير عادي بمعنى انه يندر وقوعه في العادة او انه لم يقع قط ولذلك تستغرب به العقول في بادي الامر ولكن اذا بحث عنه بالدليل وجد انه جائز الوقوع وليس مستحيل الوجود ومثله انقلاب العصا ثعباناً وانفلاق البحر وعدم حرق النار لجسد الانسان ونطق الحيوان الاعجم وامثال

ذلك فان هذه الاشياء وان كان وقوعها غير عادي لكن اذا بحث
عنها بالدليل وجد انها جائزة الوقوع وداخلة تحت تصرف قدرة
موجد العالم سبحانه وانا اذا قطعنا النظر عن العادة لم تكن امثال
هذه الاشياء باغرب من خلق الانسان الذي يكون اولاً ترابًا
ثم ينقلب نباتًا ثم غذاء ثم دمًا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيوانًا
ناطقًا سميعًا بصيرًا ثم يصير عالمًا محققًا وحكيمًا مدققًا ولولا
العادة لكان من اغرب الغرائب عند العقل ان المطر ينزل على
الارض الترابية فينبت به انواع الاشجار والازهار والاثمار
المتنوعة الالوان والطعوم والروائح والخواص ولولا العادة لكان
من اعجب العجائب ان شرارة صغيرة تخرج من قدح حديدة
على حجر فتبتلع مدينة كبيرة باهلها وجميع ما فيها وتصيرهم رمادًا
ولولا العادة لكان من ابعد شيء عن التصديق ان قوة غير مرئية
تحصل من تفاعل بعض الاجزاء فتحرك الاجسام العظيمة وتجر
الاثقال الجسيمة وتتناقل بواسطتها افكار البشر في اقطار
الارض الشاسعة ولجج البحار الواسعة الا وهي القوة الكهربائية
الى غير ذلك من الكائنات التي ما زال غرابتها عن العقول الا
تكرر وقوعها بيننا ولا فرق بين هذه الاشياء العادية الوقوع
و بين تلك الاشياء غير العادية الوقوع الا حصول العادة في

الاولى دون الثانية والا فاذا نظرنا في الدليل العقلي وجدنا ان كلاً منهما جائز الوقوع وداخل تحت تصرف قدرة موجد العالم الذي ابتدع هذه الاكوان واودعها من الاسرار ما تحتار فيه الافكار وليعلم ان تلك الجائزات غير العادية هي التي جعل الله تعالى وقوعها على ايدي الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم شاهدة بصدقهم فيما يخبرون به عنه تعالى كما سيأتي شرح هذا في المباحث الآتية ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الاول ﴾

« في بيان الايمان بالله تعالى وبيان اعتقاد اهل السنة »

« بالنصوص الشرعية الواردة في صفاته سبحانه »

وفيه ستة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في تعريف الايمان بالله تعالى

اعلم ان معنى الايمان بالله تعالى هو ان يسلم العبد و يعتقد اعتقاداً جازماً ما يجب لله تعالى من الصفات وما يستحيل عليه من اضدادها وما يجوز في حقه سبحانه فيعتقد اجمالاً اعتقاداً

جازماً انه يجب لله تعالى كل صفة كمال تليق بشأن الالوهية و يستحيل عليه تعالى كل نقص و يجوز في حقه فعل كل ممكن او تركه ولكن يجب على العبد ان يعتقد تفصيلاً بوجوب ثلاث عشرة صفة كمالية لله تعالى عليها مدار الالوهية وعظمة شان الربوبية و باستحالة اضدادها عليه سبحانه وتلك الصفات الثلاث عشرة هي الوجود وضده العدم والقدم وضده الحدوث والبقاء وضده الفناء والمخالفة للحوادث وضدها المماثلة للحوادث وقيامه تعالى بنفسه وضده قيامه تعالى بغيره والوحدانية وضدها ان لا يكون واحداً والارادة وضدها الكراهية والقدرة وضدها العجز والعلم وضده الجهل والسمع وضده الصمم والبصر وضده العمي والكلام وضده البكم والحياة وضدها الموت وكمال هذا الاعتقاد ان يكون بالبراهين المفيدة لليقين ولنشرح في الفصل الآتي بيان وجوب كل صفة من هذه الصفات الثلاث عشرة واستحالة اضدادها مع الدليل المفيد لليقين في ذلك بعون الله تعالى

❊ الفصل الثاني ❊

« في بيان الصفات الثلاث عشرة التي يجب الايمان تفصيلاً »
« بوجوبها لله تعالى وباستحالة اضدادها مع الدليل المفيد »
« لليقين في ذلك »

❊ الصفة الاولى (الوجود) ❊

يجب لله تعالى الوجود ويستحيل عليه ضده وهو العدم والدليل على ذلك ان هذا العالم المشاهد انا بجميع ما يحويه حادث وكل حادث لا بد له من محدث فهذا العالم لا بد له من محدث اما الدليل على ان هذا العالم حادث فهو كونه ملازماً للاعراض الحادثة من الحركة والسكون والصور الحيوانية او النباتية اوالمعدنية او غيرهامن الصور التي لا تخلو مادة العالموجوهره عن واحدة منها وكل ملازم للحادث يكون حادثاً وتوضيحه ان هذه الاعراض حادثة بدليل ان كل واحد منهـا يزول ويخلفه غيره والقديم لا يزول لانه اما قديم لذاته واما قديم لغيره بمعنى ان شيئاً آخر قديماً استلزم وجوده وما دامت ذات القديم قائمة او الذي استلزمه قائماً فلا يجوز عقلاً زواله فاذا ثبت كون هذه

الاعراض حادثة نقول اصل مادة العـالم وجوهره اما انه كان موجوداً قديماً وخالياً عن اعراض وهـذا باطل لان الاعراض ملازمة له لا يخلو عنها جميعها اذ لا يتصور خلوه عن الحركة والسكون وجميع الصور واما ان يقالـ حدث وحدثت تلك الاعراض معه فثبت حينئذ انه حادث والاعراض ايضاً حادثة فثبت ان هذا العالم بجميع ما يحويه حادث وهو المطلوب

واما الدليل على ان كل حادث فلا بد له من محدث فلانه لو وجد الحادث بدون محدث يلزم الترجيح بلا مرجح وهو من المستحيلات البديهية وتوضيحه لمن قد يخفى عليه ذلك ان العقل لا يصدق بان احدى كفتي ميزان متساويتين في الثقل بينما كانتا متوازنتين او اليسرى مثلاً مائلة و بالغة بميلها الى الارض بسبب من الاسـباب اذ رجحت اليمني على اليسرى وارتفعت اليسرى الى غاية ما يمكن من ارتفاعها وان ذلك حصـل بدون مرجح للكفة اليمنى الراجحة لا بقوة حيوان ولا بصادمة هواء ولا جسم آخر سقط فيها ولا بشيء مما يصلح لترجيحها ومن يصدق بهذا عد من الحمقاء ولا فرق بين هذا المثال و بين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت حسية او عقلية في ان الترجيح بلا مرجح فيها من المستحيل كما هو ظاهر فثبت بهـذا ان وجود

الحادث بلا محدث مستحيل فلا بد لكل حادث من محدث يخرجه من ظلمة العدم الى نور الوجود فتمت لنا الدعوى وهي ان هذا العالم الحادث لا بد له من محدث ثم ان هذا المحدث لا بد ان يكون موجوداً لان المعدوم لا يصلح ان يكون موجداً لشيء كما هو ظاهر فثبت بجميع ما تقدم وجوب وجود محدث موجد لهذا العالم واستحالة عدمه وهو المطلوب من هذا البحث وقد سمى العقلاء هذا الموجد للعالم بآله العالم ووردت الشرائع بتسميته باسم الجلالة وهو الله تبارك وتعالى

﴿ الصفة الثانية (القدم) ﴾

يجب لله تعالى القدم ويستحيل عليه تعالى ضده وهو الحدوث والدليل على ذلك انه سبحانه لو كان حادثاً لاحتاج الى محدث ومحدثه مع فرضه حادثاً يحتاج الى محدث وهكذا فيلزم اما الدور واما التسلسل وكل من الدور والتسلسل محال فما ادى الى واحد منهما وهو حدوث الله تعالى يكون محالاً واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديماً وهو المطلوب

اما الدور فهو توقف وجود كل من الشيئين على وجود الآخر فيلزم ان كلاً منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم ان

يوجد قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الاله الذى توقف عليه وجود العالم توقف وجوده على العالم لزم ان العالم قد وجد قبل وجود الآله الذي كان سبب وجوده فيلزم ان يكون وجد العالم قبل وجود ذاتهوهو ظاهر البطلان

واما التسلسل فهو ترتب امور وتعاقبها في جانب الازل لا نهاية لها وانما حكم العقل باستحالته لانه يستلزم المحال وما يستلزم المحال يكون محالاً وقد ذكر العلماء لبيان استحالة التسلسل عدة ادلة نذكر منها هنا ما يسهل فهمه فنقول لا شك ان العقل يحكم قطعًا بان الشيء الذي يكون محصورًا بين حاصرين لا بد ان يكون متناهيًا واجتماع كونه محصورًا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فلو كان التسلسل جائزًا عقلا لساغ لنا ان نفرض خطين يخرجان من نقطة بصورة ساقي شكل مثلث ذاهبين الى غير نهاية فاجزاؤهما بمنزلة امور مرتبة متعاقبة في جانب الازل غير متناهية ثم لنا ان نفرض المسافات التي بين هذين الخطين ونعتبرها خطوطًا تمتد وتطول كلما امتد الخطان وتباعدا هكذا فاذا قلنا بعدم تناهي الخطين يلزم منه عدم تناهي المسافات بينهما التي اعتبرناها خطوطًا فلا بد ان

تنتهي الى خط من تلك الخطوط غير متناه والحال انه محصور بين حاصرين وهما الخطان وقد تقدم ان المقدار الذي يكون محصوراً بين حاصرين لابد ان يكون متناهياً واجتماع كونه محصوراً بين حاصرين وكونه غير متناه محال فما ادى اليه وهو عدم تناهي الخطين الذي فرضنا فيه التسلسل يكون محالا فبعد بيان ان كلاً من الدور والتسلسل محال يثبت ان الاله الذي هو موجد العالم لا يجوز ان يكون حادثًا عن شيء آخر والا يلزم الدور فيما لو قلنا ان وجود الاله متوقف على وجود العالم او التسلسل فيما لو قلنا ان وجود الاله متوقف على وجود شيء آخر والشيء الآخر متوقف على آخر وهكذا الى غير نهاية وكل من الدور والتسلسل محال كما تقدم فما يؤدي الى واحد منهما وهو كون الاله حادثًا متوقفًا على غيره يكون محالاً واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديمًا اذ لا واسطة بين الحدوث والقدم ووجوب قدمه سبحانه واستحالة حدوثه هو المطلوب

ثم بعد ثبوت قدم الله تعالى واستحالة حدوثه نقول ان قدمه سبحانه لذاته وليس قدمه لغيره بمعنى ان امرًا آخر اقتضى وجوده لانه لو قيل بانه قديم لغيره لانتقل الكلام الى ذلك الغير و يقال هل هو قديم لذاته او لغيره وهكذا الى غير نهاية

فيلزم التسلسل وهو محال فلم يبق الا القول بانه قديم لذاته اي انه ليس مستندًا في قدمه الى سواه

⁕ الصفة الثالثة (البقاء) ⁕

يجب لله تعالى البقاء و يستحيل عليه ضده وهو الفناء والزوال والدليل على ذلك انه قد ثبت وجوب القدم الذاتي لله تعالى واستحالة الحدوث عليه سبحانه وما دام انه تعالى قديم لذاته وذاته تعالى قائمة وقيامها يستلزم وجودها فلا يجوز ان يقبل الفناء والزوال فثبت بهذا ان الله تعالى يجب له البقاء و يستحيل عليه ضده وهو الفناء وهو المطلوب

⁕ الصفة الرابعة (المخالفة للحوادث) ⁕

يجب لله تعالى المخالفة للحوادث و يستحيل عليه ضدها وهو المماثلة للحوادث بان يكون تعالى مشابهًا لهذه الموجودات الحادثة في خاصة من خواصها التي من طبيعة نفسها ان تكون لازمة لها لا تنفك عنها او من طبيعة نفسها ان تقبلها سواء كانت توجد في جميع الانواع منها او في بعضها وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركب والتجزوء والتولد عن الغير وولادة

الغير والاتصال والانفصال والحيوانية والنباتية والمدنية والانتقال من حيز الى حيز والانفعالات النفسية كالضحك والتعجب وامثال ذلك لان الاله سبحانه لو شابه هذه الموجودات الحادثة في شيء من تلك الخواص لكان مثلها لان الشيء الذي يشابه شيئاً آخر في خاصة من خواصه يكون مثله البتة ولو كان الاله مثلها لجاز عليه ما جاز عليها من الحدوث والفناء لانه ما جاز على احد المثلين جاز على الآخر وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى وبقائه واستحالة حدوثه وفنائه فقد ثبت بهذا ان الله تعالى لا يجوز عليه ان يشابه هذه الموجودات الحادثة فوجب له مخالفتها واستحال عليه المماثلة لها وهو المطلوب

الصفة الخامسة (قيامه تعالى بنفسه)

يجب لله تعالى قيامه بنفسه ويستحيل عليه تعالى ضده وهو قيامه بغيره بمعنى احتياجه الى مكان يقوم فيه او محل يحل فيه او مخصص يخصصه او موجد يوجده والدليل على ذلك انه قد ثبت في دليل المخالفة للحوادث انه تعالى ليس جوهراً ولا جسماً فلا يحتاج الى مكان يقوم فيه لان الاحتياج الى المكان من خواص الجواهر والاجسام وثبت هناك انه تعالى ليس عرضاً

فلا يحتاج الى محل يحل فيه او يقوم به كما تحتاج الاعراض مثل الالوان والطعوم الى ذلك وثبت ايضاً انه تعالى قديم فلا يحتاج الى مخصص يخصصه وموجد يوجده فثبت وجوب قيامه تعالى بنفسه واستحالة قيامه بغيره وهو المطلوب

﴿ الصفة السادسة (الوحدانية) ﴾

يجب لله تعالى الوحدانية اي انه تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله ويستحيل عليه ضدها وهو ان لا يكون تعالى واحداً فيما ذكر بأن يكون مركباً في ذاته او في صفاته او يكون له مماثل في ذاته او في صفاته او له مشارك في خلق فعل من الافعال

اما الدليل على انه تعالى ليس مركباً في ذاته ولا في صفاته فهو انه تعالى لو كان مركباً في واحد منهما لاشبه الحوادث في خاصة من خواصها ومقتضيات ذاتها وهو التركيب كما تقدم في دليل مخالفته تعالى للحوادث فيكون حادثاً مثلها وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى واستحالة حدوثه واما الدليل على انه تعالى ليس له مماثل في ذاته ولا في صفاته فلانه لو وجد له مماثل في ذاته يجب لذلك المماثل ما يجب له تعالى ويستحيل عليه ما

يستحيل عليه سبحانه او وجد له مماثل في صفاته الواجبة القديمة لا سيما في تمام القدرة على كل ممكن كما سيأتي في اثبات وجوب القدرة التامة له تعالى لكان ذلك المماثل في الذات اوفي الصفات الواجبة القديمة اله ولو كان معه سبحانه وتعالى في الوجود اله لما وجد هذا العالم كما أُشير اليه بقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) اي لو كان يقوم في خلق السموات والارض آلهة غير الله تعالى اي وان كان الله تعالى معهم لفسدتا اي لم توجدا وشرح هذا الدليل ان يقال لو تعدد آله العالم كأن يكون هناك الهان او اكثر اذ لا فرق في هذا الاستدلال لما وجد شيء من هذا العالم لكن عدم وجود شيء من هذا العالم باطل لانه موجود وثابت بالمشاهدة فما ادى اليه وهو تعدد الاله يكون باطلاً واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية وهو المطلوب وانما يلزم من وجود آلهين عدم وجود شيء من العالم لانهما اما ان يتفقا على ايجاد هذا العالم واما ان يختلفا فان اتفقا فلا جائز ان يوجداه لانه اما ان يحصل بايجاد كل منهما وجود للعالم مستقل فيلزم ان له وجودين وهو انما له وجود واحد فقط واما ان لا يحصل بايجادهما الا وجود واحد للعالم فيلزم ان كلاً منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة الآخر فيكون هذان

الالهان قد ركبا وجعلا آلهاً واحداً ينسب اليه الايجاد ولا ينسب لواحد منهما على الاستقلال لانه جزء الموجد لا موجد مستقل وآله العالم انما هو موجده المستقل اذ يلزم له كمال القدرة وغير المستقل يكون عاجزاً محتاجاً الى معين وايضاً اذا قيل ان الاله حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد ثبت ان التركيب محال على الاله لوجوب مخالفته للحوادث في صفاتها التي من خواص نفسها ومنها التركيب ولا جائز ان يوجده احدهما ثم يوجده الآخر لان هذا تحصيل حاصل وهو محال كما هو ظاهر ولا جائز ان يوجد احدهما البعض من هذا العالم والآخر البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذ لانه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به وهذا عجز ينافي تمام القدرة على كل شيء والعجز على الاله محال كما سيأتي من وجوب تمام قدرته تعالى على كل جائز وان اختلفا بان اراد احدهما ايجاد هذا العالم والآخر اعدامه فلا جائز ان تنفذ ارادتهما معاً لئلا يلزم على هذا اجتماع النقيضين وهو وجود العالم وعدمه في آن واحد وهو محال ولا جائز ان تنفذ ارادة احدهما دون الآخر للزوم عجز من لم تنفذ ارادته والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما وقد يقال اذا نفذت ارادة احدهما دون

الآخر كان الذي نفذت ارادته هو الاله دون الآخر لعجزه وتم دليل الوحدانية

ودليل آخر على استحالة تعدد الاله انه لما وجب وجود آله للعالم بدليل ان الحوادث لا بد لها من محدث.فاذا وجد آله آخر فاما ان لا يكون كل منهما كافياً في ايجاد العالم فلا يكون كل منهما الهاً لان الاله هو الكافي المستقل واما ان يكون واحد منهما كافياً فالثاني يكون ضائعاً لا حاجة اليه والاله لا يكون كذلك

واما الدليل على انه تعالى ليس له مشارك في فعل من الافعال فلأن الحوادث في هذا الكون اما هي حدوث حيوان او نبات او معدن او حركات غير الحيوانات كحركات الكواكب والرياح او حركات الحيوانات غير الاختيارية كحركة نموها وحركة انتعاشها الحاصلة بسبب الحمى مثلاً فهذه الاشياء من البديهي انه ليس سوى الله تعالى من المخلوقات دخل في ايجادها واحداثها ومما يجزم به كل عاقل انه لم يصوره بصورته التي هو عليها ابوه او امه او احد من الخلق فيقال بعد ذلك ان الدليل على تفرد الله تعالى بايجاد جميع ما ذكر هو نظير الدليل على انه تعالى ليس له مماثل في ذاته ولا في صفاته اذ نقول في

ايجاد كل منهما لو كان هناك موجدان فاما ان يتفقا في ايجاد كل شيء مما ذكر واما ان يختلفا و يتم الدليل الى آخره كما تقدم قريباً فيثبت انه ليس خالق لهذه الاشياء الا الله تعالى واما ان تلك الحوادث حركات العباد الاختيارية من نحو قيام زيد ومشي عمرو ونحو ذلك فهذه ايضاً انما المتفرد بخلقها وايجادها هو الله تعالى والدليل على ذلك انه لو كان العبد هو الموجد والخالق لفعله الاختياري لكان عالماً بتفاصيله لكن علمه بتفاصيله باطل فكونه هو الموجد له يكون باطلاً فلم يبق الا ان الموجد له هو الله تعالى الذي اوجد بقية الكائنات ولم يشاركه فيهما مشارك والدليل على بطلان علم العبد بتفاصيل فعله ان النائم تحصل عنه افعال اختيارية لا شعور له بتفاصيل مقاديرها وكيفياتها وان الكاتب يصور الحروف والكلمات بتحريك انامله من غير شعور له بما للانامل من الاجزاء والاعضاء اعني العظام والغضاريف والاعصاب والعضلات والرباطات ولا بتفاصيل حركاتها واوضاعها التي بها تتأتى تلك الصور والنقوش ثم انه قد تواترت النصوص الشرعية بان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى قال تعالى في كتابه العزيز (والله خلقكم وما تعملون) وقال تعالى (هل من خالق غير الله) و يسوغ لاهل الايمان

الاعتماد في عقائدهم على هذه النصوص الثابتة في الدين المحمدي المبين واخذها دليل عقيدتهم على ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسباً في افعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل الى العبد في قولنا فعله قال الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه في الفقه الاكبر ما نصه وجميع افعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها انتهى . قال مفسر كلامه من الائمة الكرام يعني ان اصل الفعل بقدرة الله تعالى والاتصاف بكونه طاعة او معصية بقدرة العبد وبيان آخر ان العبد يوجه ارادته الى الفعل ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سبباً لاتصافه به كبقية الاسباب في جانب مسبباتها وهذا من العبد هو الكسب والله تعالى عند ذلك يوجده بقدرته وهذا هو الخلق وهذا هو المذهب المتوسط بين الافراط والتفريط فلا نقول بانه لا دخل للعبد في جميع افعاله ولا نقول بانه لا دخل لله في افعال العباد الاختيارية بل نقول ان الله تعالى خالق افعالهم وهم يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون او يعاقبون

❊ الصفة السابعة (الارادة) ❊

يجب لله تعالى الارادة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها كل جائز ببعض ما يجوز عليه ويستحيل عليه ضدها وهو الكراهية والدليل علي ذلك انه قد ثبت ان هذا العالم لم يحدث بذاته وانما حدث عن الله سبحانه وحينئذ نقول ان حدوث العالم عنه تعالى اما ان يكون بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار واما ان يكون بطريق الارادة والاختيار اي انه هو الذي اراد وجوده واختاره وعين له الوقت الذي يوجده فيه لا جائز ان يكون حدوث العالم عنه تعالى بطريق العلية والضرورة بدون اختيار لانه لو كان الامر كذلك والله سبحانه قديم للزم ان يكون العالم قديماً لانه حينئذ يكون معلولا لله تعالى والمعلول يجب ان يتبع علته ولا يتأخر عنها وقد ثبت ان العالم حادث وجد بعد ان لم يكن فلم يكن حدوثه عن الله تعالى بطريق العلية والضرورة فلم يبق الا انه حدث بارادة الله تعالى واختياره وتخصيصه له الوقت الذي يوجده فيه فقد ثبت بهذا ان الله تعالى اله العالم مريد مختار فوجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية وهو المطلوب

الصفة الثامنة (القدرة)

يجب لله تعالى القدرة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها الحوادث ويعدمها ويستحيل عليه ضدها وهو العجز والدليل علي ذلك ايجاده سبحانه لهذا العالم وما احتوى عليه من الانواع ذات العظمة والغرابة من نحو عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن التي تشتمل على مئات الالوف من الاصناف التي تحتار في عظمتها وغرابتها العقول وتغرق في بحار عجائبها الفهوم ولا يصدق العقل السليم ومن اجلى المستحيلات عنده ان من اوجد هذا العالم بهذه العظمة والجلالة والغرابة يكون عاجزاً مسلوب القدرة فثبت بهذا ان الله تعالى آله هذا العالم الذي اوجده من العدم بتلك العظمة يجب له القدرة ويستحيل عليه ضدها وهو العجز وهذا هو المطلوب

الصفة التاسعة (العلم)

يجب لله تعالى صفة العلم وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تنكشف له بها جميع الاشياء من الواجبات والجائزات والمستحيلات فيعلم سبحانه كل شيء منها على ما هو عليه من الوجوب او الاستحالة او الجواز ويستحيل عليه تعالى ضده وهو

الجهل والدليل على ذلك ايجـاده سبحانه لهذا العالم بما احتوى عليه من العجائب والغرائب مع نهاية الاتقان وغاية الاحكام بمـا تحتار في دقيق صنعه العقول وفي اتقانه الفهوم ويتضح هذا من نظر الانسان في اقرب الاشياء اليه وهو ذاته المشتملة على التدبير الباهر والاتقان الذي تحتار فيه الاذهان فكيف اذا تأمل في عجائب الكواكب ونظامها وعالم الحيوان والنبات والمعدن وما حوته من الانواع والموافقات والاختلافات الى غير ذلك من العجب العجاب ومن المستحيل عند العقل السليم ان الذي اوجد هذا العالم بهذا الاتقان والاحكام ودقيق الصنعة وعجيب الوضع يكون جاهلاً غير عالم فثبت بهذا ان الله تعالى اله العالم الذي اوجده بهذا الاتقان يجب له العلم ويستحيل عليه ضده وهو الجهل وهذا هو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب القدرة والعلم لله تعالى بنوع من البسط ان نقول ان من نظر مثلاً ساعة من الساعات التي يستعلم بها الوقت المحتوية على عدة آلات هندسية متقنة محكمة حتى وفت بالغرض وضبطت الاوقات حتى الثواني منها لاشك عنده ولا ريب في ان لها صانعاً صنعها وان هذا الصانع له قدرة كافية لصنعها وعلم كاف لاتقانها واحكامها حتى تفي بالغرض المقصود

منها ومن يصدق بانها حصلت وتكونت بنفسها بطريق الصدفة بدون صانع صنعها واتقنها او ان صانعها عاجز مقطوع اليدين والرجلين جاهل بفنون الهندسة والصنائع بل هو خامل الفكر جاهل بكل علم ومع ذلك صنعها بذلك الاتقان والاحكام فيعد هذا المصدق من الحمقاء الذين لا يفرقون بين الارض والسماء فكذلك اذا نظرنا في هذا العالم مما احتوى عليه من عجائب كواكبه وغرائب حيوانه ونباته ومعدنه التي ملأت علومها الكتب وطفحت بها الصحف ولم نزل قاصرين عن الاحاطة بكل ما اشتملت عليه من العظمة والغرابة كما يعلم من الاطلاع على كتب الفنون المتكفلة بالكلام على هذه العوالم نجزم قطعاً مع غاية الطمئنان قلوبنا بان هذا العالم بجميع مشتملاته لا بد له من صانع صنعه وابرزه بهذا الاتقان والاحكام ونوع انواعه وصنف اصنافه وميز اشخاصه وهو قادر اتم القدرة وعالم اكمل العلم يستحيل عليه العجز والجهل ومن نسب ذلك الصنع العظيم العجيب الى حدوثه بنفسه صدفة واتفاقاً او الى شيء آخر عاجز جاهل خالٍ عن كل ادراك ومعرفة فلا شك انه من احمق الحمقاء واجهل الجهلاء وان تستر بتمويهات واهية وخرافات ساقطة اذ فطرة العقل السليم تأبى تصديق دعواه الباطلة فنحن نجزم بما

اعتقدناه من نسبة صنع هـذا العالم للاله القادر العليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

﴿ الصفة العاشرة (السمع) ﴾

يجب لله تعالى صفة السمع وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بصماخ واذن تنكشف بها مسموعاته تعالى و يستحيل عليه ضده وهو الصمم والدليل على ذلك ان الصمم نقص والنقص على آله العالم الذي اوجده مكملاً ووهب السمع لبعض انواعه وجعله من اكبر النعم عليهم محال واذا استحال عليه سبحانه الصمم وجب له السمع وهو المطلوب

﴿ الصفة الحادية عشرة (البصر) ﴾

يجب لله تعالى صفة البصر وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بمقلة ولا حدقة تنكشف له تعالى بها مبصراته و يستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى والدليل على ذلك ان العمى نقص والنقص على الله تعالى الذي اوجد هذا العالم مكملاً وزين بعض انواعه بنعمة البصر محال واذا استحال عليه تعالى العمى وجب له البصر وهو المطلوب

﴿ الصفة الثانية عشرة (الكلام) ﴾

يجب لله تعالى صفة الكلام وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت تدل على الواجبات والمستحيلات والجائزات ما كان منها وما يكون يُفهِم بها سبحانه ما يريد افهامه لاحد عباده ويستحيل عليه ضده وهو البكم والدليل على ذلك ان البكم نقص والنقص على الله تعالى آله العالم الذي اوجده وكل بعض انواعه بالنطق والكلام محال واذا استحال عليه سبحانه البكم وجب له الكلام وهو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب صفة السمع والبصر والكلام له تعالى واستحالة اضدادها وهي الصمم والعمى والبكم بنوع بسيط ان نقول ان الصفات التسع التي تقدم اثبات وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها وهي اي تلك الصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والارادة والقدرة والعلم وان كان عليها مدار الالوهية ووجود آله متصف بها يكفي في توجيه وجود هذا العالم ويقنع العقل السليم لكننا اذا تأملنا بعد ذلك في شأن هذا الاله سبحانه وفي بديع مصنوعاته وما احتوت عليه من كمال الاتقان والاحكام بحيث انه سبحانه

اعطى كل شيء كماله وكل ما يقوم بوجوده و يصلح لشأنه نجزم بانه اذا كانت مصنوعاته في هذا الكمال فمن المستحيل ان يكون هو سبحانه ناقصاً لاننا في جميع ما نتصوره لا نجد الشيء يوجد مثله فضلاً عن ان الناقص يوجد و يبتدع الكامل او ان الكامل يوجد ا كمل منه هذا الانسان هو اعلم الحيوانات واقدرها في الصناعة مهما صنع وابتدع فانه لا يقرب في صنعه من الكمال الذي هو قائم فيه فضلاً عن ان يصنع مثله او ا كمل منه فلا يقدر على صنع نبات فضلاً عن صنع حيوان او انسان بل لو سقطت شعرة من جسده لا يقدر على اعادتها كما كانت وما تراه يجري على يده من ظهور النبات والحيوان فانما هو بمباشرته الامور التي جعلها الله تعالى اسباباً عادية لتولد النبات او الحيوان فتراه يضع البزر في الارض و يعرضه للحرارة و يسقيه الماء فينبت منه النبات وهو لا يدري كيف نبت وحدثت فيه سائر خواصه من اللون والطعم والرائحة وغير ذلك وكذلك يضع بيض الطائر في الحرارة فيتولد منه طائره وهو لا يدري كيف تكون ذلك الطائر وشق سمعه و بصره وتصور لحمه ودمه وسائر اعضائه وفي هذا بيان ظاهر ان الانسان لم يصنع النبات والحيوان وانما تسبب في صنعهما مع جهله بكيفية نشأتهما عن اسبابهما وآله العالم

هو المتفرد بصنعهما جل وعز فعلى جميع ما تقدم نجزم بان هذا الاله الذي اوجد العالم من العدم ونوع منه الانواع التي تحار فيها الافهام وكمل بعضها بالسمع والبصر والكلام يجب ان يكون له مرتبة الكمال في صفاته التي ثبتت لدينا بالدليل العقلي وفي كل صفة كمالية تليق به تعالى والا كان دون مصنوعاته وذلك خلاف ما يصدق به العقل فنعتقد انه سبحانه وتعالى سميع بصير متكلم بل متصف بكل صفة كمال تليق بشأن الالوهية ويستحيل عليه تعالى الصمم والعمى والبكم وهو الذي ابدع السمع وانار البصر واطلق اللسان بالكلام كما يستحيل عليه تعالى ان يكون ناقصاً في صفة كمالية وقد اوجد في مصنوعاته كل كمال

هذا ويسوغ لنا معشر المسلمين ان نكتفي في اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاث وهي البصر والسمع والكلام له تعالى على الدليل السمعي من نحو قوله تعالى وهو السميع البصير وقوله (وكلم الله موسى تكليماً) ونخرج بذلك عن خطة التقليد كما هو مقرر

﴿ الصفة الثالثة عشرة (الحياة) ﴾

يجب لله تعالى صفة الحياة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح عقلاً اتصافه بصفاته الجليلة من نحو القدرة والارادة

والعلم ويستحيل عليه تعالى ضدها وهو الموت والدليل على ذلك انه سبحانه لو كان ميتاً لما صح اتصافه بصفاته التي قام الدليل على وجوب اتصافه بها من نحو القدرة والارادة والعلم لكن قام الدليل على وجوب اتصافه بها فمن المحال ان يكون سبحانه وتعالى ميتاً واذا استحال عليه الموت وجب له الحياة وهو المطلوب

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في بيان ان من صفات الله تعالى التي تقدمت ما يتعلق »
« بالاشياء ومعنى تعلقها وان منها ما لا يتعلق بشيء »

اعلم ان صفات الله تعالى الثلاثة عشرة التي تقدم لنا اقامة الدلائل على وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها منها ما لا يتعلق بشيء وهي سبع صفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والحياة ومعنى عدم تعلقها بشيء انه لا يكون بها تخصيص الاشياء ولا ايجادها ولا كشفها ولا الدلالة عليها كما يكون للصفات الآتية ومنها ما له تعلق بالاشياء وهي ست صفات له تعالى وهي الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام

اما الارادة والقدرة فيتعلقان بالجائزات فقط ولا يتعلقان بالواجبات والمستحيلات فالارادة تتعلق بالجائز تعلق تخصيص

فيخصص الله تعالى بها في الازل الجائز ببعض ما يجوز عليه مثلاً يخصص الله تعالى في الازل زيداً بانه يوجد ام لا وبانه اذا وجد يكون على صفة كذا في الزمن الفلاني والمكان الفلاني والجهة الفلانية من الارض وهلم جرًّا وبهذا التخصيص يجب ان يكون هذا الجائز على ما خصصه الله تعالى به بارادته ويستحيل ان يكون بخلاف ذلك لانه لو كان بخلاف ما اراده الله تعالى فيه لزم ان يكون الله تعالى كارهاً مقهوراً يحصل في ملكه ما لا يريده وهي حالة لا يرضى بها المخلوق المملوك فما بالك بالخالق مالك الملوك سبحانه وتعالى والقدرة له تعالى تتعلق بالجائز تعلق تأثير بايجاده او باعدامه على طبق ما تعلقت به الارادة في الازل مثلاً اذا تعلقت ارادته تعالى في الازل بايجاد زيد على صفة كذا في زمن كذا في مكان كذا فاذا جاء الزمن الذي تعلقت ارادته تعالى بايجاد زيد فيه تعلقت قدرته تعالى بايجاده فيوجده سبحانه فيه بقدرته على الصفة التي خصصه بها في المكان الذي خصصه له بارادته وكذلك اذا تعلقت ارادته تعالى باعدام عمرو على وجه مخصوص تعلقت قدرته تعالى باعدامه فيعدمه سبحانه بقدرته على طبق تعلق الارادة بدون تخلف والا لزم تخلف ارادة الله تعالى وهو محال كما تقدم قريباً

وانما لم تتعلق كل من ارادة الله تعالى وقدرته لا ايجاداً ولا اعداماً بالواجبات كذاته تعالى وصفاته وملازمة الجرم للحيز ولا بالمستحيلات كالشريك له تعالى والجمع بين النقيضين ككون زيد موجوداً معدوماً في آن واحد فلان الواجب حاصل حتما ولا يمكن خروجه عن الوجود الى العدم فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا ايجاداً لان ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا اعداماً لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود ولان المستحيل معدوم حتماً ولا يقبل الوجود فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا اعداماً لان ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا ايجاداً لاستحالة وجوده وخروجه عن العدم وعلى تقرير هذا المقام لو سأل سائل وقال هل يقدر الله تعالى على اعدام الواجب الفلاني او على ايجاد المستحيل الفلاني كشريكه تعالى فالجواب المقترن بالادب ان نقول ان البرهان قد دل على ان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات لا ايجاداً ولا اعداماً وما ذكرت ايها السائل فهو من الواجبات او من المستحيلات فقدرة الله لا تتعلق بهما ولا نقول انه تعالى لا يقدر على ذلك لان هذا من سوء الادب في جانب الحضرة الالهية ويوهم العجز عليه تعالى وتقدس

واما السمع والبصر له تعالى فيتعلقان بجميع الموجودات سواء كانت واجبات او جائزات تعلق انكشاف ولا يتعلقان بالمعدومات سواء كانت مستحيلات او جائزات فيرى سبحانه وتعالى ذاته الكريمة وصفاته ويسمع كلامه كما انه يرى ويسمع كل مرئي ومسموع جائز من مخلوقاته فيرى الذرة في الليلة الظلماء و يسمع صوت مشيها على الصخرة الصماء لان سمعه وبصره تعالى ليس كسمع الحوادث وبصرهم الحادثين الناقصين المتوقف ادراكهما على شروط واسباب عادية

واما علمه تعالى وكلامه سبحانه فيتعلقان بالواجبات والمستحيلات والجائزات الموجودات منها والمعدومات اما علمه فيتعلق بهذه المذكورات تعلق انكشاف فيعلم الله تعالى بعلمه الواجب وانه واجب وذلك كذاته المقدسة وصفاته و يعلم بعلمه المستحيل وانه مستحيل وذلك كالشريك له تعالى و يعلم الجائز وانه جائز سواء كان موجوداً او معدوماً سيوجد او لا يوجد فيعلمه سبحانه على ما هو عليه ولا يعزب عن علمه سبحانه شيء من كلي او جزئي في الارض او في السماء فيعلم عدد الرمال وقطرات الامطار وورق الاشجار وذرات الكائنات ولا نهاية لمعلوماته سبحانه واما كلامه تعالى فيتعلق بالواجبات والمستحيلات

والجائزات تعلق دلالة فكلامه سبحانه الذي ليس بحرف ولا صوت يدل على كل واجب ومستحيل وجائز موجود او معدوم بكل ما هو عليه و يفهم الله تعالى بكلامه كل واحد منها لمن اراد افهامه من عباده كملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بيان انه يجب ان نعتقد بجميع صفاته تعالى واسمائه »
« التي ورد الشرع بما يفيد ثبوتها له تعالى مع بيان »
« ان اسماءه تعالى توقيفية »

اعلم انه لما ثبت عندنا معشر المسلمين ان سيدنا ﴿ محمد ﴾ ابن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم هو رسول الله تعالى بدليل ما ظهر على يديه من المعجزات الخارقة للعادة التي كان ظهورها على يديه تصديقاً له من جانب الله تعالى بدعوى الرسالة وحيث ثبت انه رسول الله يجب له الصدق في جميع ما يخبر به و يستحيل عليه الكذب كما سيأتي برهان جميع ذلك في الباب الثاني ان شاء الله تعالى وجب علينا وصح لنا تصديقه في جميع ما جاء في نصوص شريعته من اثبات الصفات لله تعالى وقد جاء في نصوص شريعته من القرآن الشريف وحديثه المنيف ما يفيد

وصف الله تعالى بالصفات التي تقدم ذكرها مع اثباتها لله تعالى بالدليل العقلي واستحالة اضدادها وهي التي عليها مدار الالوهية او عظمة شأن الربوبية وجاء ايضاً في نصوص الشريعة ما يفيد وصف الله تعالى بصفات اخرى كمالية من انه تعالى عدل حكيم حميد هاد خالق رزاق قيوم الى امثال ذلك مما طفحت به نصوص الشريعة المحمدية فيجب الايمان بجميع ما ورد له تعالى من الصفات العلية في نصوص الشريعة الاحمدية لان المخبر بها وهو رسول الله صادق مجزوم بصدقه بما قام من دلائل رسالته من عند الله تعالى

ثم كما جاءت نصوص الشريعة باثبات الصفات له تعالى كذلك جاءت باثبات اسمائه سبحانه التي سمى بها نفسه ومنها لفظ الله الذي هو الاسم الخاص به تعالى وهذا اللفظ الكريم كما ان اللغة العربية تطلقه على الاله سبحانه قبل ارسال سيدنا ﷺ محمد ﷺ عليه الصلاة والسلام كذلك جاءت الشريعة باطلاقه عليه تعالى فتسميته تعالى به تسمية شرعية نعتمد بها على نص الشريعة وهكذا بقية اسمائه تبارك وتعالى فتسميته بكل منها شرعية ولا يجوز تسميته باسم لم يرد به الشرع الشريف وهذا معنى قول علماء الاسلام ان اسماء الله تعالى توقيفية اي ان

اطلاق كل اسم منهـا عليه بتوقيف الشرع الشريف ولا يجوز اطلاق اسم عليه تعالى بدون توقيفه

﴿الفصل الخامس﴾

« في بيان ما ورد في نصوص الشريعة نسبته الى الله تعالى »
« مما يوهم التشبيه والمماثلة للحوادث و بيـان كيفية »
« اعتقاد اهل السنة والجماعة في ذلك »
« وطريق تأويله عند الحاجة اليه »

اعلم انه كما ورد في الشريعة المحمدية ما يفيـد وصف الله تعالى بصفات كمالية منها ما قامت الدلائل العقليـة على ثبوته له تعالى ومنها ما ليس كذلك لكن لما اخبر به الرسول المبرهـن على صدقه بالمعجزات ولا مانع عقلاً يمنع من ثبوته له تعـالى آمنا وصدقنا به وذلك مثل كونه تعالى قابل التوبة من عباده وانه يثيب الطائع و يعذب العاصي كذلك وقد ورد في نصوص الشريعة الغراء نسبة اشياء لله تعالى توهم ظواهرها مماثلته ومشابهته للحوادث وسميت تلك النصوص بالمتشابهات والحال ان الدليل العقلي قد قام على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته لها وكذلك الدليل النقلي ورد بذلك قال الله تعالى (ليس كمثله

شيء وهو السميع البصير) فنعتقد في تلك النصوص المتشابهات ان لها معاني صحيحة تليق به تعالى خالية عن استلزام مماثلته تعالى للحوادث وليست هي المعاني المتبادرة من ظواهر تلك النصوص المستلزمة للمماثلة ونفوض علم حقيقة تلك المعاني الصحيحة اليه سبحانه فنكون بذلك الاعتقاد منزهين له تعالى عن مماثلة الحوادث ومفوضين له في علم ما اراد من تلك النصوص وهكذا كان اعتقاد السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم لكن لما ظهر بعض الفرق المبتدعة وتمسكوا بظواهر تلك النصوص المتشابهات واعتقدوا المعاني المتبادرة منها المستلزمة لمماثلته تعالى للحوادث وخيف على اعتقاد بعض الضعفاء في الدين من سريان بدعتهم اليه تأول العلماء المتأخرون هذه النصوص المتشابهات تأويلات مناسبة موافقة للادلة العقلية على ما ذكر في كتب التفاسير وشروح الاحاديث وهم في تلك التأويلات عند التصدر لرد مذهب المبتدعة او تثبيت عقيدة الضعفاء كأنهم يقولون مادامت تلك النصوص المتشابهات محتملة لمعان صحيحة مناسبة موافقة للادلة العقليه جارية على قواعد اللغة العربية فبالحمل عليها احتمالاً يحصل التوفيق بينها و بين الادلة الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته تعالى لها ونسلم من اعتقاد ما ربما يخرج به

المرء عن الايمان والعياذ بالله تعالى و بيان الطريقتين في ذلك انه قد ورد قوله تعالى في القرآن المجيد الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى و يبقى وجه ربك وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه وقوله تعالى وجاء ربك الى غير ذلك من الآيات وورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام رأيت ربي في احسن صورة وقوله عليه الصلاة والسلام ان الجبار يضع قدمه في النار وقوله عليه السلام ينزل ربكم الى سماء الدنيا الى غير ذلك من الاحاديث فالطريق الاسلم الذي درج عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم ان نقول في هذه النصوص ان لها معاني غير ما يتبادر منها وهي صحيحة موافقة للادلة العقلية والنقلية الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث وانا نؤمن بها ونفوض معرفة حقيقتها الى علم الله تعالى وهذا القدر يكفي في صحة الايمان فاستواؤه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسمية والجهة والنزول الى سماء الدنيا صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كنزول الحادث المستلزم الانتقال من حيز الى حيز والمجيء كذلك ونقول ايضاً ان له تعالى يداً و يميناً وقدماً ليست كاعضائنا بل هي على ما تليق به سبحانه لا تستلزم التجزؤ

والمقدار وهو سبحانه اعلم بحقيقة تلك المعاني التي ارادها من تلك النصوص وهكذا القول في كل نص متشابه واذا تصدينا لرد مذهب المبتدع المدعي مماثلته تعالى للحوادث تمسكاً بظواهر هذه النصوص او اردنا تثبيت عقيدة الضعفاء في الدين فنقول على طريق التأويل ان تلك النصوص تحتمل معاني غير ما يتبادر منها لا تستلزم مماثلته تعالى للحوادث و بالحمل عليها توافق الادلة العقلية والنقلية الدالة على تنزيهه تعالى عن المماثلة ونأمن بذلك من الخطاء في الاعتقاد الذي ربما يؤدي الى الكفر والعياذ بالله تعالى و بيان ذلك انه يحتمل ان المراد من الاستواء على العرش هو الاستيلاء والقهر كما قال الشاعر العربي

(قد استوى بشر على العراق) اي استولى

والمراد بذلك بيان عظمته تعالى ونفوذ حكمه على كل شيء من هذا العالم و يحتمل ان المراد بالنزول الى سماء الدنيا هو الاقبال على عباده وقد ورد في اللغة العربية النزول بمعنى الاقبال فالمعنى ان الله تعالى يقبل على عباده في ذلك الحين فعبر عن ذلك الاقبال بالنزول الى سماء الدنيا و يحتمل ان المراد بالمجيء هو الاقبال ايضاً او ان المراد وجاء امر ربك وسلطانه و يحتمل ان المراد بالوجه الذات فانه يطلق و يراد به الذات وان المراد

باليد. واليمين القدرة وكل ذلك له شواهد من استعمالات اللغة العربية التي جاء القرآن والاحاديث النبوية بها وهكذا يجري التأويل في كل ما ورد من المتشابهات. فليس شيء منها الا وقد وجد له العلماء تأويلاً مناسباً موافقاً للادلة العقلية على قانون اللغة العربية وقد افردوا لذلك كتباً تكفلت ببيان ذلك فعلى كل مكلف ان يؤمن بجميع ما ورد من تلك النصوص المتشابهات ويعتقد ان لها معاني صحيحة لا تليق بجنابه تعالى غير مستلزمة لمماثلته تعالى للحوادث ويفوض معرفة حقيقتها المرادة منها الى علم الله واذا احتاج الى التأويل في دفع مذهب مبتدع او لرفع الوسوسة عن قلبه ولم يكن اهلاً للتأويل فليرجع الى العلماء الاعلام ويفهم منهم تأويل ما اراد تاويله ولا يستقل به وهو ليس اهلاً له خشية ان يقع في خطاء يدخله في البدعة او في الكفر نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة وليعلم ان النصوص المتشابهات التي مر الكلام عليها في هذا الفصل هي الآيات القرآنية واحاديث الرسول الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام واما ما ينسبه الى الرسول عليه السلام بعض اهل الاخبار ولم يثبت عنه عليه الصلاة والسلام بنقل العدول فهذا وامثاله لا يجب علينا التصديق به فضلاً عن الاحتياج الى تأويله والله تعالى اعلم

الفصل السادس

« في بيان ما يجوز في حق الله تعالى و بيان مسائل »
« خالفنا فيها اهل البدع »

قد تقدم بيان ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه سبحانه فلنشرح الآن في هذا الفصل ما يجوز في حقه تعالى فنقول

يجوز في حقه تعالى فعل كل جائز او تركه مهما كان الجائز عظيماً دقيق الصنعة فالله تعالى قادر على صنعه والدليل على ذلك من نصوص الشرع الشريف قوله تعالى (والله على كل شيء قدير) والدليل عليه عقلاً ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم وان كل جائز هو قابل للوجود والعدم فيكون الله تعالى قادراً على ايجاده واعدامه والذي يوضح جواز فعله تعالى لكل جائز او تركه مهما كان الجائز عظيماً دقيقاً ما نشاهده في هذا العالم من عظائم مصنوعاته تعالى وغرائب مبتدعاته فانه قد تصرف فيها بقدرته ايجاداً واعداماً نعم قد جرت عادته تعالى بان لا يوجد خوارق العادات اي الامور العظيمة التي لم تجر العادة بوجودها الا على ايدي رسله عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم وتصديقاً لدعواهم الرسالة او على ايدي اوليائه كرامة لهم او على ايدي

بعض عباده معونة لهم او استدرجاً او خذلاناً كما سيأتي تفصيله وكل ذلك في النادر

ومن الجائز في حقه تعالى خلق الخير والشر ولا يكون ذلك منه قبيحاً خلافاً لبعض المبتدعة لانه تعالى فاعل مختار يتصرف في ملكه كيف يشاه وربما يكون الشيء حسناً في نفسه وان خفي علينا حسنه وعددناه شراً على ان الشر يكون شراً بالنسبة الينا ولذلك نؤاخذ بكسبه ومخالفة النهي عنه و يكون فعله منا قبيحاً واما بالنسبة اليه تعالى فلا يقال ان الشيء الفلاني خير والشيء الفلاني شر لانه سبحانه لا ينتفع بشيء ولا يتضرر من شيء وايضاً انه كثيراً ما يقع الشر في الكون فلو كان بغير خلقه وارادته تعالى لزم ان يقع كثير في ملكه ليس بخلقه ولا بارادته وهو عجز وقهر على منصب الالوهية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ومن الجائز عليه تعالى ان يفعل غير الصالح وغير الاصلح في حق عباده ولا يجب عليه ان يفعل ذلك في حقهم خلافاً لبعض المبتدعة لانه لو وجب عليه تعالى فعل الصالح والاصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة بالعذاب الاليم لان الاصلح له عدم خلقه وان خلق فالاصلح له اماتته صغيراً او سلبه عقله قبل بلوغ سن التكليف لكنه تعالى خلق

ذلك الكافر ولم يفعل الاصلح في حقـه فظهر انه تعالى لا يجب عليه فعل الصالح والاصلح لعباده بل هو الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد

ومن الجائز في حقه تعالى عقلاً ان يعذب المطيع وينعم العاصي ولا يقبح ذلك منه لانه مالك مطلق فاعل مختار ولانه ان اثابنا فبفضله وان عذبنا فبعدله ولا تأثير للطاعة في وجوب الثواب ولا تاثير للمعصية في وجوب العذاب لكن لما ورد في نصوص الشريعة المحمدية وعده سبحانه وتعالى للمطيع بالثواب ووعيده للعاصي بالعقاب صار واجباً شرعاً ان لا يتخلف وعده ولا وعيده لانه لو تخلف ذلك لزم الكذب والخلف في خبره تعالى وذلك محال لكن الوعد بالثواب يجب شرعاً ان لا يتخلف في حق احد من المطيعين لانه نقص والنقص عليه تعالى محال واما الوعيد بالعقاب فقد اخرج منه المؤمنون المغفور لهم بالدلائل الدالة على ان الله تعالى قد يغفر لبعض عباده الذنوب واما الكفار فلا يتخلف الوعيد في حقهم للادلة الشرعية الدالة على تحتم خلودهم في النار واما المؤمنون غير المغفور لهم معاصيهم فلا بد من نفوذ الوعيد في حقهم ولو بتعذيب واحد منهم لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى

ومن الجائز عليه تعالى عقلاً ان ينظر بالابصار لانه سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح ان يرى فهو سبحانه يصح ان يرى لكن لم تقع رؤيته تعالى في الدنيا لغير نبينا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته سبحانه في الآخرة للمؤمنين واجبة شرعاً باتفاق اهل السنة والجماعة لنص القرآن والاحاديث الشريفة ولاجماع الصحابة عليها لكن رويته تعالى بلا كيف وبلا انحصار ومعني قولنا بلا كيف انها بدون تكيفه سبحانه بكيفية من كيفيات الحوادث من نحو المقابلة للرائي والجهة والتحيز لان الرؤية قوة ادراكية يجعلها الله تعالى في خلقه لا يشترط فيها عقلاً مقابلة المرئ ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك وانما جعلت هذه شروطاً عادية يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية بدونها ومعنى قولنا ان رويته تعالى بلا انحصار اي بدون انحصاره تعالى عند الرائي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات له تعالى ولا تخالف بين وجوب روية المؤمنين له تعالى و بين قوله في القرآن الشريف لا تدركه الابصار لان معنى ادراك الابصار رؤيتها على وجه الاحاطة بحيث يكون المرئي متحيزاً بحدود ونهايات وهذا لا نقول به لانه محال عليه تعالى وقد خالف في جواز رويته تعالى بعض المبتدعة وتمسكوا

بشبه مردودة عليهم في الكتب المطولة

ومن الجائز عليه تعالى ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق فليس ارسالهم واجباً عليه تعالى ولا مستحيلاً بل لطف منه تعالى واحسان ورحمة بمحض الفضل لما في ارسالهم من الحكم والمصالح التي لا تحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الاله سبحانه وعلمه وقدرته ومنها استفادة الحكم فيما لا يستقل به العقل مثل المعاد الجسماني والحساب ومنها بيان حال الافعال التي تحسن تارة وتقبح اخرى من غير اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الاغذية والادوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة الا بعد ادوار واطوار مع ما فيها من الاخطار ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات ومنها تعليم الصنائع الخفية من الحاجيات والضروريات ومنها تعليمهم الاخلاق الفاضلة الراجعة الى الاشخاص والسياسات الكاملة العائدة الى الجماعات في المنازل والمدن ومنها الاخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيباً في الحسنات وتحذيراً عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد ثم بعد اعتقادنا بجواز ارسالهم في حق الله تعالى وانه ليس بواجب عليه يجب علينا اعتقاد حصول ارسالهم من لدن آدم الى

رسولنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وسلم وسيأتي بيان كيفية تفصيل الايمان بهم عليهم الصلاة والسلام في الباب الثاني والله الموفق

﴿ الباب الثاني ﴾

« في بيان الايمان بالرسل والانبياء والملائكة والكتب »
« واليوم الآخر وما يتبع ذلك وفيه خمسة فصول »

﴿ الفصل الاول ﴾

« في بيان الايمان بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام »

اعلم ان الرسول هو انسان ذكر حر اوحى الله تعالى اليه بشرع وامره بتبليغه للخلق وان لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبيًا فقط وقد تقدم ان ارسال الرسل من الجائز على الله تعالى ولكن قد حصل منه تعالى ارسالهم تفضلاً على عباده لما فيه من الفوائد الكثيرة والايمان بالرسل هو ان نؤمن بان الله تعالى ارسلهم مبشرين ومنذرين وايدهم بالمعجزات الخارقة للعادات وان نؤمن بما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام فيجب لهم الامانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الخيانة

ويجب لهم الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب . ويجب لهم الفطانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم الفطانة . ويجب لهم تبليغ ما امرهم الله تعالى بتبليغه للخلق ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان ذلك ويجوز في حقهم الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية وكمال الايمان بما ذكرنا ان يكون مقروناً بالدليل فنقول في بيان ذلك

يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام الامانة وهي العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم ضد الامانة وهي الخيانة فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وامثال ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء وامثال ذلك من المنهيات الباطنة وما اوهم من النصوص الشرعية وقوع المعصية منهم فمؤوّل بتأويلات حسنة مذكورة في كتب التفاسير وشروح الاحاديث النبوية فعلى المكلف اذا اشتبه بشيء من تلك النصوص في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ان يرجع في تأويله الى العلماء الاعلام ليفهم منهم تأويله ويكون اعتقاده موافقاً لاعتقاد اهل السنة والجماعة والدليل على وجوب الامانة للرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة الخيانة عليهم انهم لو

خانوا بفعل معصية لكنا مأمورين به لانه تعالى امرنا باتباعهم في اقوالهم وافعالهم واحوالهم من غير تفصيل والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالمعصية

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب اما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فيما يبلغونه عن الله تعالى فالدليل عليه انه لو كذبوا في ذلك للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات وهي خوارق العادات التي يجريها الله تعالى على ايديهم تأييداً لهم لانها نازلة منزلة قوله سبحانه صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالى فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالى محالا واذا استحال كذبهم في ذلك وجب صدقهم فيه وهو المطلوب واما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم في غير ما يبلغونه عنه تعالى فالدليل عليه انهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الامانة والعصمة لهم وقد تقدم الدليل على وجوب الامانة لهم واستحالة الخيانة عليهم صلى الله تعالى وسلم عليهم اجمعين

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الفطانة وهي التفطن والتيقظ ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم اليقظة والدليل على ذلك انه لو لم يكونوا فطناء وكانوا مغفلين لما امكنهم اقامة الحجة

على اخصامهم والمجادلة معهم لاقناعهم بالحق وهذا يخالف منصبهم الذي ارسلوا به وهو هداية الخلق الى الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحال عليهم ضدها وهو الغفلة وهو المطلوب

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام تبليغهم للخلق ما امرهم الله تعالى بتبليغه ويستحيل عليهم ضده وهو كتمانهم شيئاً من ذلك والدليل على ذلك انهم لو كتموا شيئاً مما امروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لان الله تعالى امرنا بالاقتداء بهم وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيئاً مما امروا بتبليغه للخلق يكون باطلاً فوجب لهم تبليغ ما امروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شيء من ذلك وهو المطلوب

واما الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو سائر الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية وذلك كالاكل والشرب وجماع النساء في الحلال والامراض التي لا تخل بمنصب الرسالة ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم والاخذ عنهم والدليل على ذلك مشاهدة تلك الاعراض بهم وهي لا تخل بمنصب الرسالة واما الامراض التي تخل اوتنفر عنهم الخلق مثل الجنون والاغماء الطويل والجذام والبرص والعمى فهي ممتنعة عليهم ولم يثبت ان شعيباً كان اعمى وما كان

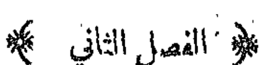
بايوب من البلاء فقد كان ألمًا تحت الجلد ليس منفرًا وما اشتهر في قصته من الحكايات المنفرة فهي باطلة

واما السهو فممتنع عليهم في الاخبار البلاغية اي التي يبلغونها للخلق نحو الجنة اعدت للمتقين وفي غير البلاغية ايضًا نحو قام زيد وذهب عمرو لانه يورث الشبهة لبعض الضعفاء في عموم اخبارهم وهو ينافي منصب الرسالة . واما السهو في افعالهم غير البلاغية والبلاغية كالسهو في الصلاة فهو غير ممتنع عليهم وحكمة وقوعه منهم ان يرى الناس كيف يعملون عند حدوث السهو في عباداتهم لان دلالة الفعل اوضح من دلالة القول . واما النسيان فهو ممتنع عليهم في البلاغيات قولية كانت او فعلية فالقولية نحو الجنة اعدت للمتقين والفعلية نحو صلاة الضحى اذا امروا بفعلها ليقتدي الناس بهم فلا يجوز نسيان شيء من ذلك قبل تبليغ الاولى بالقول والثانية بالفعل . واما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من جانب الله تعالى لحكمة يعلمها . واما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم اذ ليس للشيطان عليهم سبيل ووسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بتمثيل ظاهري والممتنع لعبه ببواطنهم والملخص انه يجوز على ظواهرهم ما يجوز على بقية البشر مما لا يؤدي الى نقص واخلال بمنصب الرسالة واما بواطنهم فمنزهة محفوظة

متعلقة بربهم وما يوهم خلاف هذا فمؤول يرجع في فهم تأويله الى العلماء الاعلام وليعلم ان جميع ما ذكر في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوب والاستحالة والجواز يلزمنا ان نعتقده في حق الانبياء وهم الذين اوحى الله تعالى اليهم بشرع ولم يامرهم بتبليغه للخلق لانه ربما ترجع اليهم الناس في الاستفتاء عن احكام شرائع الرسل قبلهم ولانهم مامورون ان يبلغوا الخلق انهم انبياء ليحترموهم ولانهم يعملون بما اوحي اليهم

ثم ليعلم انه يجب الايمان بجميع الانبياء والرسل اجمالاً بان يؤمن المكلف بكل نبي ورسول لله تعالى وبما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز والاولى ان لا يعين عدداً مخصوصاً لاختلاف الروايات في عددهم وقد قال تعالى (منهم من قصصنا عليك من قبل ومنهم من لم نقصص عليك) لكن يجب الايمان تفصيلاً بالرسل الذين ذكرت اسماؤهم في القرآن الشريف وقد جمعنا اسماءهم الشريفة في هذه الابيات

اسماء رسل الله في القرآن	خمس وعشرون تخذ بيان
هم آدم ادريس نوح هود	يونس الياس اليسع داود
اسحق ابراهيم لوط موسى	ذو الكفل يحيي زكريا عيسى
شعيب ثم صالح ايوب	هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان واسماعيل	محمد ﷺ ختمهم الجليل



الفصل الثاني

« في شرح معجزات الرسل التي ايدهم الله تعالى بها و بيان »
« طريق وقوعها واقامة الحجة بها »

اعلم انه قد تقدم في هذا الكتاب ان الجائز العقلي هو ما يقبل الثبوت والانتفاء وان كل جائز فهو داخــل تحت تصرف قدرة الله تعالى مهما كان عظيما ودقيق الصنع وتوضيح ذلك بعد ثبوت ان الخالق لهذه الكائنات هو الله تعالى ما نشاهده من اعماله في هذه المصنوعات من العظمة والدقة والحكمة ولنشر الى تفصيل بعض ذلك فنقول . انتظر الى عالم الكواكب وما اشتمل عليه من العظمة والغرابة وعجيب الترتيب والانتظام كما يظهر من كتب علم الهيئة التي تكفلت بشرح حقيقة ذلك . وانظر الى عالم الجويات وما احتوى عليه من الهواء والرياح والبروق والرعود والسحاب والامطار والكائنات الجوية التي افردت بالتأليف وصارت علماً واسعاً . ولننظر الى الارض وما اشتملت عليه من الجبال والاودية والكهوف والسهول والبحار والانهار والينابيع والمعادن والكائنات الارضية من الزلازل والتغيرات العظيمــة . ولننظر الى عالم المعادن وما فيها وما احتوى عليه من الانواع المختلفة في الالوان

والطعوم والخواص والمنافع . وانظر الى عالم النبات وما فيه من اختلاف الاشجار والازهار والاثمار المتنوعة في الالوان والروائح والطعوم والاشكال والاقدار والخواص والمنافع وغرائب توالده ونموه واقامته وسائر احواله التي افردت بالتآليف واصبحت علماً من اعظم العلوم . وانظر الى عالم الحيوان وما يحويه من العظائم والغرائب في اختلافه في الصغر والكبر والقوة والضعف والذكاء والبلادة وتباين الاشكال والهيئات والاصناف وما فيه من عجيب التركيب وغريب التأليف وما في اعضائه من احكام الصنع واتقان الوضع حتى وفي كل عضو بوظيفته . واذا نظرنا في انفسنا وما اشتمل عليه الجسد الانساني من غريب الصنع وبديع التركيب لاخذتنا الحيرة وادركتنا الدهشة وفي الاطلاع على كتب التشريح الانساني وما بينته من اعضاء الانسان ووظائفها وغرائب ابنيتها وتراكيبها وانتظاماتها ودقيق صنعها عبرة لاولي الابصار

ومن اغرب ما في الانسان حواسه من السمع والبصر والذوق والشم واللمس واغربها حاسة البصر وما احتوت عليه من باهر الصنع بوضع طبقات العين واشكالها وصفاتها وانتظامها واحكامها على نواميس كونية حتى وفت بوظيفة الابصار التي تحتار في

كيفيته الافكار وتالله ان العلوم التي تكفلت بالكلام على هذه العوالم وشرح حقائقها وأحوالها وان تكن قد جاءت بكثير من عجائبها مما الاطلاع عليها يربي الايمان في القلوب لمن وفقه الله تعالى و يشهد لصانعها بعظيم القدرة وكمال العلم والحكمة لكن ما انطوى علمه من عجائبها ودقائق حكمها واسرارها هو بحر عجاج لا تدركه العقول ولا تفي بالاحاطة به الروايات والنقول فسبحان من كانت هذه الكائنات بارادته وقدرته وتدبيره وحكمته فبعد التأمل في حدوث هذه الموجودات وانه لا بد لها من صانع هو رب الارض والسموات نعلم قطعاً ان كل جائز عقلاً مهما كان عظيماً جسيماً وغريباً عجيباً فهو داخل تحت تصرف قدرة هذا الاله القادر العليم الحكيم ولكن وجدنا انه سبحانه قد وضع في تكوين هذه الكائنات وتصوير تلك العوالم اسباباً وقوانين جرت عادته تعالى في احداث هذه الحوادث عندها فجعل مثلا حدوث النبات بواسطة التراب والماء والحرارة وحدوث الحيوان بواسطة انتقال مادته الاصلية من الذكر الى الانثى وتنميته في جوف الانثى بوسائط شتى مع مرور زمن مخصوص على كل من هذين التكوينين ولكن لدى تدقيق النظر والبحث في الادلة العقلية وملاحظة عظيم قدرته سبحانه

وكمال علمه وتدبر عجائب صنعه ظهر لنا معشر اهل السنة والجماعة ان جميع تلك الاسباب والقوانين التي وضعها الله سبحانه وجرت عادته في احداث الحوادث عندها ما هي الا عادية بمعنى ان عادته تعالى جرت باحداث الحوادث عندها لا بتأثيرها وان الزمن الذي خصص لتكونها وحدوثها ما هو الا عادي ايضاً وهو سبحانه وتعالى قادر على احداث تلك الحوادث بدون تلك الاسباب والقوانين وبدون مرور ذلك الزمن الذي يكون ظرفاً لتكونها وحدوثها ويظهر ذلك لمن تأمل ان التراب والماء والحرارة لا يظهر فيها ادنى داع لان تصور انواع النباتات كل نوع منها على لون وطعم ورائحة وشكل خاص وليس عندها قدرة وعلم وارادة تؤهلها للتصرف في انواع النباتات ذلك التصرف العجيب الغريب وايضاً انا نجد بعض انواع النبات مشتملاً على دقائق من الصنعة وغرائب من الوضع قد يحدث في زمن قصير جداً ونجد نوعاً آخر بسيط التكوين ليس فيه تلك الدقائق ولا يحتوي على تلك الغرائب قد يحدث في زمن طويل ممتد وهذا تنبيه من الحق تعالى على ان الزمن ليس شرطاً متوقفاً عليه التكوين توقفاً لازماً عقلاً بل ان ذلك الزمن لم يجعل ظرفاً للتكوين الا عادة جرت للحق تعالى من غير احتياج اليه والافلو

احتيج اليه لكان الشيء الاغرب في الصنعة اطول زمناً من الشيء الذي يكون دونه في الغرابة و بما تقرر ظهر ان الله تعالى الذي احدث هذه الكائنات قادر على احداثها بدون تلك الشروط والاسباب والازمنة الموضوعة لتكونها فيجوز ان يوجد الله تعالى نباتاً في لحظة طرف او اقل بدون تلك الاسباب التي جرت عادته ان يحدث النبات عندها وقادر على ايجاد حيوان كذلك وعلى قلب الجماد نباتاً او حيواناً في لمحة طرف واحداث اعظم من ذلك من خوارق العادات ولكن ذلك منه سبحانه لم يكن مطرداً بل قد يجري به على يد رسول من رسله معجزة مصدقة له بدعوى الرسالة كما قلب عصا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ثعباناً ثم اعادها عصا في زمن يسير وهكذا توجيه جميع خوارق العادات التي نقل لنا وقوعها معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام جرت على ايديهم تصديقاً لهم مثل انفلاق البحر وانشقاق القمر وكلام العجماوات ومجيء عرش بلقيس في لمحة طرف و بعد ذلك كله فانك ترى بعض من استولت الغفلة على قلوبهم قد سترت عنهم عظمة مصنوعات الله تعالى المعتادة لديهم وغرابتها لكثرة مشاهدتهم لها ويعجبون من حدوث شيء نادر الوقوع لم تجر العادة في بروزه لدى حواسهم وربما يكون هذا الشيء في العظمة

ودقة الصنعة دون ما جرت العادة بحصوله والفته انفسهم وما ذلك الا لعدم اعتيادهم على مشاهدة ما ندر وقوعه حتى ربما كذبوا من يخبرهم به اشد التكذيب وان كان ثقة عندهم مثلاً تراهم يعلمون ان التراب ينقلب نباتاً ثم غذاء ثم دماً ثم نطفة ثم بعد انتقاله لرحم الانثى ينقلب علقة ثم قطعة لحم ثم لتصور حيواناً سميعاً بصيراً شاماً ذائقاً لامساً ثم يخرج من بطن الانثى ضعيف العقل والقوى ثم يصير قوياً صلباً ولبيباً حاذقاً وعالماً مدققاً ويقول انا وانا وما جسده الا قبضة تراب وسيعود كما كان ومع ذلك لا يتعجبون من جميع ما جرى في هذه التحولات والاطوار واذا اخبرهم مخبر ان فلاناً الرجل الصالح قد شفى الله تعالى فلاناً المبتلي بالبرص على يديه بمجرد انه لمسه ودعا له تجدهم قد عدوا ذلك من المحال وحسبوا الخبر به من خرافات الاقوال ولو كان المخبر من اصدق الرجال والحال ان شفاء ذلك الابرص على ذلك الوجه ليس باعظم من تكون الانسان بتلك الاطوار العجيبة بل دونه في العظمة بكثير وليس الفرق بين الامرين الا ان الاول قد جرت به العادة والثاني ليس كذلك ولكن ما دمنا نعتقد ان الموجد لكلا الامرين هو الله القادر العليم الفاعل المختار فأي داع يدعو للاذعان بالاول والانكار للثاني نعم لو ان الدعوى

ان ذلك الرجل الصالح قد اوجد شفاء الابرص بقدرته كان للانكار وجه وذلك لعدم صلاحية قدرته لاحداث هذا الشفاء ولكن الدعوى ان الله تعالى قد شفى الابرص على يديه كرامة اكرمه بها فلا وجه للانكار ما دام المخبر صادقاً موثوقاً به ونسب ذلك التأثير لله تعالى الذي هو قادر على كل جائز وهذا الامر كان من الجائزات اذا احتطت علماً بجميع ما قررناه فاعلم ان الله تعالى لما ارسل الرسل للخلق ايدهم بالمعجزات لتكون دليل صدقهم في دعواهم الرسالة والمعجزة هي امر خارق للعادة يظهر على يد مدعي الرسالة من الله تعالى فالرسول عند ما يدعو القوم الذين ارسل اليهم الى تصديقه وامتثال الشرع الذي يبلغهم اياه عن الله تعالى لا بد انهم يريدون منه دليلاً على صدق دعواه فيقترحون عليه خرق العادة في الامر الفلاني والامر الفلاني من نحو انشقاق القمر وخروج ناقة من الصخر وغير ذلك فالله سبحانه وتعالى يخرق العادة على يد ذلك الرسول و يوجد ما اقترحه عليه اولئك القوم وحينئذ يظهر لهم صدقه في دعواه و يؤمنون به و بما جاء به من عند الله تعالى لانهم يلزمهم ان يقولوا حينئذ في الاستدلال ان هذا الامر الخارق للعادة لا يقدر على ابرازه للوجود الا الاله القادر عليه ولولا ان ذلك

الرجل المدعي الرسالة صادق لما ابرز الله تعالى على يديه ذلك الامر الغريب فابرازه على يديه هو تصديق له من جانب الله تعالى بلا ريب فالمعجزة تكون في حق ذلك الرسول وفي حق قومه بمنزلة قول الله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغه عني ونظير ذلك في رجل ادعى في حضرة ملك انه سفير بينه وبين رعيته الحاضرين في حضرة الملك وعليهم ان يصدقوه فيما يبلغهم عن ملكهم فطلب منه اولئك الرعايا ما يدل على تصديق الملك له في تلك الدعوى فقال ان علامة تصديق الملك لي في ذلك انه يقوم الآن عن كرسيه ويخطو سبع خطوات ويفعل ذلك ثلاث مرات على خلاف عادته فبمجرد سماع الملك ذلك قام عن كرسيه وفعل مثل ما قال الرجل فلا شك ان القوم الحاضرين يجزمون حينئذ بصدق ذلك الرجل ويعدون قيام الملك بتلك الكيفية تصديقاً له فيعتمدون جميع ما يبلغهم ذلك الرجل عن ملكهم ومن يقل بخلاف هذا فهو من الحمق بمكان او مكبل بقيود العناد والخسران واذا بلغنا الى هٰهنا فنقول

ان المعجزات التي اظهرها الله تعالى على ايدي الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام هي كثيرة جداً فلنذكر منها ما اشتهر وذكر في القرآن المجيد او في صحيح الاحاديث النبوية ونشرح

توجيه حصول تلك المعجزات على قانون العقل السليم حتى تندفع شبه المبطلين المنكرين لها من اهل الضلال ويزداد بذلك يقين اهل الحق وعصابة الايمان ولكن بعد ان نتكلم على اشهر المعجزات المذكورة في القرآن لبعض الرسل نفرد فصلاً لمعجزات نبينا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم ونتكلم على بعض الطرق التي اوصلت اتباعه الى الحظوة بتصديقه واتباع طريقه فنقول

من المعجزات التي ذكرت في القرآن الشريف معجزة سيدنا موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بانفلاق البحر حين ضربه بعصاه حتى مرَّ بنو اسرائيل فيه ونجوا من فرعون ثم اهلك الله تعالى فرعون وقومه بانطباق البحر عليهم عند ما ارادوا لحوق موسى وقومه فاعلم ان من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكرًا لوجود اله العالم والعياذ بالله تعالى فهذا يكون الصواب في حقه ان نقام له الدلائل على اثبات وجوده تعالى واثبات صفاته الجليلة ثم بعد ذلك يبين له حال المعجزات وان كان مؤمنًا بوجود الخالق سبحانه فمتى تصور عظمة قدرته وتأمل في عظائم اعماله وتصور ان انفلاق البحر ما هو الا جائز عقلي من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى لان العقل يحكم بقبوله للثبوت والانتفاء ولا يلزم من ثبوته محال

فلا مانع يمنعه من التصديق بذلك ومما يوضح جواز انفلاق البحر ان الماء قابل للانقسام كبقية الاجسام وقابل للتماسك كما يشاهد تماسكه بالجمود بالبرد مثلما يرى في الانهر العظيمة التي تجمد ايام البرد وتمر عليها الحيوانات وان كان انفلاق وتماسك ماء البحر بتلك السرعة حتى مرّ بنو اسرائيل بين قطعه ثم رجوعه الى السيلان سريعاً حتى غرق فيه فرعون وقومه اموراً عظيمة تحتاج الى قدرة تامة فالله سبحانه وتعالى تام القدرة فلا يعجزه ذلك فنحن معشر المسلمين لما اخبرنا بهذه المعجزة القرآن الكريم على لسان رسول الله سيدنا ✻ محمد ✻ صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ثبت صدقه لدينا بالبراهين العديدة وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى التامة آمنا وصدقنا بذلك من دون شك ولا ريب وكل منصف اذا تأملها لا يجدها من المحالات والله قادر على احداثها تأييداً لرسوله وحفظاً لعباده المؤمنين واهلاكاً لاعدائه الكافرين

ومن المعجزات التي ذكرت في القرآن المجيد ايضاً لسيدنا موسى عليه السلام نبع الماء من الحجر عندما ضربه بعصاه بامر الله تعالى فقيل كان حجراً مخصوصاً وقيل المراد اي حجر كان وهنا يقال ايضاً ان من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكراً

للخالق تعالى فقد ذكرنا ما هو الصواب في حقه وان كان مؤمناً بوجود الخالق تعالى وتمام قدرته وعظيم اعماله فيكفيه لتصديق هذا الامر ان يتصور ان نبع الماء من الحجر له طريقان جائزان . الاول . ان الله تعالى يخلق و يبرز من العدم مقداراً من الماء يكفي بني اسرائيل ثم يجعل سبيل بروزه في مشاهدتهم من الحجر عند ما يضرب به موسى . والثاني . ان يحول الله تعالى الهواء ماء و يجعل سبيل بروزه في المشاهدة ايضاً من الحجر وتحول الهواء ماء وعكسه هو من الامور الجائزة التي دخلت تحت تصرف قدرة الكيماويين كما يعلم من فن الكيمياء وفي هذا العام قدروا ان يحولوا الهواء سائلاً من السائلات فما بالك بقدرة من خلق الكيماويين وجميع اعمالهم فنحن معشر المسلمين لما اخبرنا بذلك الصادق ورأينا ان ذلك من الجائزات الداخلة تحت تصرف القادر سبحانه آمنا وصدقنا به و بان الله تعالى اوجده معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وابقاء لحياة عباده بني اسرائيل الذين اعوزهم الماء في التيه .

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام المذكورة في القرآن الشريف انقلاب عصاه ثعباناً كبيراً ابتلع الحبال والعصي الكثيرة التي سحرتها سحرة فرعون وخيلتها للناس حيات

فهذه المعجزة ايضاً يقال فيها ان السامع بها ان لم يكن مؤمناً بالخالق تعالى وبعظيم قدرته فقد تقدم ما هو الصواب في حقه وان كان مؤمناً بالخالق تعالى فيكفيه لتجويز وقوع هذه المعجزة تصوره ان مصنوعاته تعالى العظيمة من عوالم النبات والحيوان كلها حدثت بقدرته وتكوينه وقد حوّل موادها من صورة الى صورة فقلب التراب نباتاً والنبات حيواناً وان الاسباب التي جعلها في هذا الكون لحدوث هذه الكائنات والازمنة التي جعلها ظروفاً لحدوثها ما هي الا عادية والله تعالى قادر على تلك الاعمال بدون تلك الاسباب وبدون تلك الازمنة وان الله تعالى قادر على اعدام الاجسام او تفريقها هباء لا تدركه الابصار فنحن معشر الامة المحمدية لما اخبرنا الصادق بحصول تلك المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام ونحن نعتقد بكمال قدرة الله تعالى عليها وعلى اعظم منها من الجائزات آمنا وصدقنا بها وقلنا لا مانع من ان الله تعالى قلب تلك العصا التي هي جسم نباتي ثعباناً عظيماً وكبر جسمه بضم بعض الاجسام الارضية اليه وبعد ان ابتلع الحبال والعصي اعاده عصا بقدر ما كانت وافنى الاجسام التي زادها في تكبيره واجسام الحبال والعصي التي ابتلعها او فرق جميع ذلك وصيره هباء لا يرى وكل ذلك اوجده الله تعالى

بدون الاسباب والازمنة العادية التي شرعها في الكون لذلك الصنع اذ هو قادر على ذلك . وكان خرق العادة في هذا الحال معجزة دالة على صدق رسوله موسى عليه الصلاة والسلام

ومن معجزات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام التي اخبر بها القرآن المجيد رفع الطور وهو الجبل فوق بني اسرائيل حتى قبلوا الميثاق وهذه المعجزة يسلم بجواز وقوعها من يؤمن بوجود الاله القادر ويتأمل في اعماله العجيبة وانه كم رفع من اجرام عظيمة جدًا واقامها في الفراغ وان قيل على مذهب المتأخرين من الفلكيين ان تلك الاجرام قائمة في الفراغ بناموس الجاذبية قلنا ان من اوجد ذلك الناموس هو قادر على احداث ناموس نظيره لرفع الطور على ان الاسباب التي وضعها سبحانه وتعالى في هذا الكون ما هي الا عادية على ما تقدم بيانه فهو قادر سبحانه على ايجاد هذه الكائنات بدون وجود اسبابها فنحن معشر المصدقين بالقرآن الكريم قد اخبرنا بهذه المعجزة الصادق وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القادر الذي نؤمن بوجوده وبكمال قدرته فنؤمن ونصدق بحصولها بقدرة الله تعالى معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وترهيبًا لبني اسرائيل حتى قبلوا الميثاق

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام ارسال الجراد والقمل والضفادع والدم على قوم فرعون وانزال المن والسلوى على بني اسرائيل في التيه وهذه الاشياء يؤمن بجواز وقوعها من يؤمن بالله تعالى القادر على هذه الامور واعظم منها وتوضيح جوازها انه يشاهد الى الآن في هذا الكون ارسال الجراد وغيره من الحيوانات المؤذية كالديدان والفيران على زرع قوم دون قوم ويشاهد ان بعض الاقاليم يفسد ماؤها ويورث شربه امراضاً لاهلها وبعد البحث عن سببه يظهر انه قد تولد في ذلك الماء حيوانات صغيرة جداً لا تدرك الا بالمكبرات ولعل الدم كان من هذا القبيل ويشاهد ايضاً انه قد يقع عوض المطر اشياء لم يعهد وقوعها ويعلل وقوعها اهل البحث بان ريحاً نقلتها من مكان آخر وانزلتها على آخرين فما دام الحال ان جميع تلك الاشياء من الجائزات عقلاً المشاهد نظيرها في ايامنا فما المانع من ان الاله سبحانه اوجدها على يد موسى عليه السلام معجزة له وترهيباً للقبط اعدائه ورزقاً لبني اسرائيل الذين كانوا في التيه يعوزهم القوت فتفضل عليهم تعالى بالمن والسلوى فنحن معشر المسلمين نؤمن بحصول جميع تلك الجائزات على يد موسى عليه السلام بخلق الله تعالى معجزة له كما اخبرنا

بذلك الصادق

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الشريف خروج ناقة من صخرة على يد سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام عند ما طلب منه قومه ذلك حتى يؤمنوا به فمن يسمع هذا الخبر ويكون مصدقاً بوجود الاله القادر يكفيه للتصديق بجواز ذلك ان يتصور عجائب صنعه تعالى وانه قادر على قلب التراب حيواناً وتحويل المواد الى صور مختلفة اذ لا مانع من ان الله تعالى صور قطعة من نفس مادة تلك الصخرة من باطنها بصورة ناقة وقلبها للحيوانية بصورة النياق وجعلها حية حساسة ثم فلق الصخرة عنها واخرجها لقوم صالح معجزة له عليه السلام فان الاسباب والازمنة التي جعلها عادته سبحانه في تكوين الحيوانات ما هي الا عادية وهو قادر على ايجاد الحيوانات بدونها وكم يوجد في باطن الصخور حيوانات مثل الدود لا يدري الباحثون كيف تخلقت داخل الصخر ويوجد حولها نبات دقيق مثل العفن الذي يظهر على الحيطان الرطبة تتغذى به وكلما رعته نبت غيره وقد شوهد ذلك ونقله الثقاة فما دام هذا جائزاً في مثل هذه الحيوانات فهو جائز في مثل الناقة اذ لا فرق الا بالكبر والصغر وهو لا يفيد الاستحالة في الكبير دون الصغير فنحن معشر المؤمنين نعتقد بحصول تلك

المعجزة لانها من الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وقد اخبر بها الصادق فهي حق وصدق بلا ريب

ومن المعجزات التي اخبر بها القرآن المجيد عدم احتراق سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالنار العظيمة التي القاه فيها الملك الكافر الذي حاجه ابراهيم عليه السلام فمن يكن مؤمناً بوجود الاله القادر و يعتقد ان النار لا تحرق بطبعها ولا بقوة اودعت فيها بل احراقها هو بخلق الله تعالى وعدم احراقها من الجائزات العقلية الداخلة بتحت تصرف الاله سبحانه وان كان ذلك خلاف العادة فلا مانع يمنعه من تجويز وقوع هذه المعجزة ومن ينكر وجود الخالق تعالى و يعتقد ان النار تحرق بطبعها فهذا يكون الصواب في حقه ان يقدم له اولاً الدلائل الدالة على وجود الاله سبحانه وعلى قدرته على كل الجائزات و يوضح له ان النار ليست محرقة بطبعها بل بخلق الله تعالى الاحراق عند ما تمس شيئاً قابلاً للاحتراق اذ لا موجب في نفس حقيقتها يقتضي ان تحرق الاجسام لانه ان قيل ان موجب احراقها هو النور الذي فيها وهو مولد الحرارة المحرقة قلنا هذا نور الحباحب وهو الحيوان الصغير الذي يوجد في الليل على النباتات وفي مأخره نور يسطع والمادة التي ينبعث منها ذلك النور مادة

حيوانية فصفورية لا حرارة فيها ولا احراق وكذلك كثير من المواد الفصفورية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق في النار هو اتحاد العناصر الذي تتكون النار بسببه على زعم الكيماو بين المتأخر ين قلنا نطلب البيان الكافي لِمَ كان هذا الاتحاد موجباً للاحراق دون جميع الاتحادات التي تحصل بين العناصر والاجسام الكيماوية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق هو الحركة المخصوصة للاجزاء الفردة للجسم مع الاجزاء الفردة للاكسجين احد جزئي الهواء كما يقول ايضاً المتأخرون من الكيماو بين قلنا نطلب التوضيح الشافي لِمَ كانت هذه الحركة موجبة للاحراق دون جميع الحركات التي تحصل بين اجزاء الاجسام المتحدة على قول اولئك الكيماو بين ولِمَ لم تكن حركة اجزاء الجسم الذي تنشأ عنه البرودة المفرطة حتى يجمد بها الماء موجبة للاحراق ولم خصت الحركة الاولى بالحرارة والاحراق والحركة الثانية بالبرودة والتجميد فبهذا يظهر ان الخصم لا يسعه الا ان يقول لا ادري الا ان كلا قد خص بما ينشأ عنه ولا بد من مخصص فنقول له نحن نعلم ذلك المخصص هو الله تعالى الذي خص ما شاء بما شاء فاحراق النار ليس الا بخلقه وايجاده وليس في النار شيء يقتضي ان

يؤثر بالاحراق ولا بسواه بل هي مسخرة تحت تصرفه سبحانه وتعالى ان شاء انشأ عنها الاحراق والاعدام وان شاء انشأ عنها البرودة والسلام نعم قد جرت عادته سبحانه في هذا الكون انه جعلها محرقة بخلقه وايجاده فاذا اراد خرق العادة بعدم خلق الاحراق فيها فلا مانع يمنعه ولا حجر عليه وقد اشار سبحانه الى خرق العادة فيها معجزة لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بما تلاه علينا في القرآن المجيد من قوله في خطاب النار يا نار كوني بردًا وسلامًا على ابراهيم وهذا كناية عن ان الله تعالى لم يخلق فيها الحرارة والاحراق بل خلق ضد الحرارة فيها وهو البرودة وجعلها سلامًا وامانًا لا برودة مهلكة فنحن معشر المؤمنين لما اخبرنا الصادق المصدوق بهذه المعجزة آمنا وصدقنا بحصولها ولا مانع يمنع من تصديقها وهي من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف خالق الارض والسموات

ومن المعجزات التي ذكرت في القرآن الشريف ما جرى على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من شفاء الابرص والاكمه واحياء الموتى باذن الله تعالى فمن كان مؤمنًا بآله العالم سبحانه وتصور عجائب اعماله من تحويل التراب الى حيوانات متنوعة لا يمتنع من تجويز احياء الموتى بقدرته تعالى وشفاء المرضى وابراء

الا كمعجزة لسيدنا عيسى عليه السلام فان هذه المذكورات من الجائزات العقلية وهي في نظر العقل اسهل من خلق الحيوان من التراب وابرازه سميعاً بصيراً وان كان كلا الامرين لدى قدرة الله تعالى على حد سواء اذ لا يقال في حقـه تعالى ان الشيء الفلاني سهل والشيء الفلاني اسهل عليه بل الجميع تحت تصرفه في السوية والوسائط التي جعلت اسباباً في حدوث مثل هذه المذكورات ما هي الا عادية وكذلك الزمان الذي جعـل ظرفاً لحدوثها والله تعالى قادر على خرق العادة وايجـاد هذه الامور بدون تلك الاسباب والزمان كما مرّ بيانه فنحن معشر الموحدين قد اخبر الصادق بهذه المعجزات وحصولهـا على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فآمنا بها وصدقنا

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام ايضاً تصويره من الطين كهيئة الطير ونفخه فيه فيصير طيراً باذن الله تعالى فما دمنا نعتقد ان الله تعالى هو الذي خلق جميع هذه الحيوانات الموجودة في الدنيا على تنوع انواعها من التراب وان الاسباب التي وضعها لتكونها والزمن الذي جعله ظرفاً لتصورها كل ذلك امر عادي والله تعالى قادر على ايجاد ذلك بدون تلك الاسباب وذلك الزمان

فلا مانع يمنعنا من تجويز وقوع تلك المعجزة الخارقة على يد سيدنا عيسى عليه السلام بخلق الله تعالى كما قال سيدنا عيسى عليه السلام باذن الله وحيث قد اخبرنا بذلك الصادق المصدوق فقد آمنا وصدقنا بحصوله معجزة مؤيدة لدعوى ذلك الرسول الكريم

ومن المعجزات التي اخبر بها القرآن الشريف وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام نزول مائدة من السماء ليأكل منها اصحابه الحواريون رضي الله تعالى عنهم وذلك امر جائز اذ لا مانع يمنع العقل من التصديق بنزول اي جسم كان من جهة السماء كما ترى الامطار وبعض اجسام اخرى تخبر بها علماء الارصاد وما دمنا نعتقد بقدرة الله تعالى على خلق جميع الاجسام فالله سبحانه وتعالى قادر على خرق العادة وخلق المائدة وانزالها من السماء على سيدنا عيسى عليه السلام واصحابه معجزة له وتأييداً لدعواه ونحن آمنا بوقوعها لاخبار الصادق بها

ومن المعجزات المذكورة في القرآن الكريم تسخير الشياطين والريح لسليمان وإلانة الحديد لداود عليهما الصلاة والسلام فكل ذلك من الجائزات العقلية التي لا يحكم العقل باستحالتها داخلة تحت تصرف الاله القادر فالشياطين من جملة عبيد الله تعالى قابلون للتسخير مقهورون تحت امر خالقهم سبحانه والريح

انما تسييرها وتصريفها في الاكوان بقدرته عز وجل والحديد معدن قابل للالانة وان جرت عادة الله تعالى في الانته بسبب الحرارة ولكن ذلك سبب عادي والله قادر على الانته بدون ذلك السبب فلا مانع من ايجاد الله تعالى لهذه الخوارق على يد هذين الرسولين الكريمين معجزة لهما وتأييداً لدعواهما الرسالة ونحن معشر اهل الايمان المصدقين بقدرة الله تعالى العظيم الشان وبجواز هذه الحادثات و بصدق القرآن المجيد قد آمنا وصدقنا بحصولها بدون شك ولا ريب وهي بالنسبة لاعمال الله تعالى المشتملة على اعجب العجائب واغرب الغرائب لا يستبعد العقل السليم منها شيئاً والله الهادي الى سواء السبيل

و بقيت معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام سنذكر بعضاً من مشهورها في الفصل الآتي لمناسبة بينها و بين معجزات سيدنا ﴿محمد﴾ عليه وعليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في بيان معجزات نبينا سيدنا ﴿ محمد ﴾ رسول الله »
« صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان بعض الطرق »
« التي كانت برهاناً على صدق دعواه »

من اعظم المعجزات التي جاء بها سيدنا ﴿ محمد ﴾ عليه الصلاة والسلام القرآن الشريف فهو المعجزة الباقية الى انقضاء الدنيا بخلاف بقية المعجزات فان كلاً منها قد انقضى بحينه ولنشرح هذه المعجزة العظيمة والخارقة الجسيمة على وجه يفهمه الخاص والعام ولا يعتريه شبهة لدى الافهام فاعلم ان من حكمة الله تعالى البالغة انه قد يؤيد رسله بمعجزات من قبيل ما فاق وبرع فيه القوم المرسل اليهم حتى تنقطع حجتهم عن رسولهم بانا نجهل جنس ما جئت به من خارق العادة فلعلك تعلم طريقاً في ايجاده لا نعلمها نحن ولا يكون في الحقيقة الا امراً معتاداً مثلاً عندما ارسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام كان فن السحر شائعاً في القبط قوم فرعون ولهم فيه المهارة التامة ويعلمون ما هو الممكن للبشر معرفته وصنعه منه وما لا يكون في طوقهم فلما سحر السحرة منهم الحبال والعصي بامر فرعون

وصارت ترى حيات تسعى القى سيدنا موسى عليه السلام عصاه باذن الله تعالى فقلبها الله تعالى ثعباناً عظيماً فابتلعت تلك الحيات الكثيرة ثم لما اخذها بيده عادت عصا كما كانت نخر السحرة ساجدين لله تعالى وآمنوا برسالة موسى وصبروا على تعذيب فرعون لهم وقتلهم بالصلب في جذوع النخل وما ذلك الا انهم لمعرفتهم فن السحر وعلمهم بمقدار ما يدخل منه في طوق البشر وما لا يدخل ايقنوا ان تلك الخارقة وهي انقلاب العصا ثعباناً كبيراً ابتلع الكثير من الحبال والعصي المسحورة على صورة الحيات ثم عاد عصا كما كان وتلك الحبال والعصي عدمت وتلاشت من الوجود ماهي من نوع السحر وليس في طوق البشر الوصول الى هذه الدرجة منه فآمنوا بانها من خوارق العادات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسموات اوجدها معجزة لموسى مؤيدة لدعواه الرسالة ومن لم يكن من اهل المعرفة في فن السحر يمكنه الاستدلال على صدق سيدنا موسي عليه السلام بسبب تصديق اولئك السحرة له بان يقول ان هؤلاء السحرة لاشك انهم متمسكون بدين ابائهم واجدادهم ومتعززون بسلطنة فرعون ويخافون من مخالفته الهلاك ثم لهم الدراية في فن السحر وبمقدار ما يدخل في طوق البشر منه وما لا يدخل

فلولا انهم علموا يقيناً ان تلك الخارقة التي ظهرت على يد موسى ليست من نوع السحر ولا يدخل في طوق البشر الوصول اليها لما آمنوا بموسى وتركوا دينهم ودين آبائهم .وزهدوا في عزة فرعون ورضوا بالتعذيب والصلب في جذوع النخل فقالوا لفرعون فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فايمانهم بموسى مع ذلك كله اعظم دليل على صدقه بدعوى الرسالة وان تلك الخارقة اظهرها الله تعالى على يده معجزة شاهدة بصدقه واما من لم يرد الله تعالى فيه خيراً كما وقع لفرعون فانه ضل عن هذا الاستدلال واتبع طريق الشبهة وقال للسحرة انه يعني موسى كبيركم الذي علمكم السحر وهي شبهة باطلة اذ لا يخفى ان موسى من بني اسرائيل الذين كانوا مستعبدين للاقباط قوم السحرة اصحاب السلطنة والملك فلا داعي يدعو اولئك السحرة الى مخالفة فرعون باتباع موسى ولو فرض انه هو الذي علمهم السحر كما قال فرعون ايصدق العقل انهم يقدمون على ذلك لمجرد تعلمهم منه ويقبلون الذلة بعد العز والقتل والصلب عوض الحياة وهم عقلاء يميزون الخير من الشر فلولا اعتقادهم الجازم بان تلك المعجزة ليست من نوع السحر وهي دالة على صدق موسى فدعوى الرسالة وانهم وان فارقوا عز الدنيا وعدموا حياتها

الفانية فسيعوضون بعز الآخرة وحياتها الابدية لما اقدموا ذلك الاقدام وقبلوا ما قبلوا فشبهة فرعون اضعف من بيت العنكبوت وقد جاء بها اما تكبرًا وعنادا واما جهلاً وشقاء وكذلك لما بعث الله تعالى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان فن الطب شائعًا في بني اسرائيل فكان من حكمته تعالى ان جعل الكثير من معجزاته عليه السلام من قبيل اعمال اهل الطب فابرأ على يديه الابرص والاكمه واحيا الموتى فاهل المعرفة في علم الطب لايحتاجون في تصديق رسالته الى امر صعب بل من الواضح لديهم ان يقولوا اننا نعلم فن الطب ومقدار ما يمكن الانسان ان يبلغه فيه من الاعمال وما لايمكنه فيدخل في طاقة الاطباء الحذاق ان يشفوا الابرص لكن بمعالجة مخصوصة مع مرور زمان مخصوص واما شفاؤه في الحال بمجرد لمسه او الدعاء له فهذا ليس في طوقهم ويمكنهم ان يشفوا مرض الاعين الذي يكون عرضيًا ليس مخلاً بجوهر البصر واما شفاء الاكمه عديم البصر فهذا ليس في طوقهم واحياء الموتى ايضًا ليس في طوقهم البتة وحيث ان عيسى قد اتى بهذه الخوارق التي ليست داخلة في طوق البشر كما يظهر لنا من الاطلاع على فن الطب فيكون ذلك دليلاً على صدق دعواه الرسالة اذ ان تلك الخوارق

ليست الا بايجاد الله تعالى القادر على كل شيء اجراها على يد عيسى معجزة له مؤيدة دعواه واما غير اهل المعرفة في فن الطب فلهم ان يستدلوا على صدق عيسى بتصديق هؤلاء الاطباء نظير ما استدل من آمن بموسى ولم يكن من اهل المعرفة في فن السحر لما شاهدوا ايمان السحرة به اذا علمت جميع ما قررناه فاعلم انه قد نقل الينا بالتواتر المفيد لليقين اي نقل الينا الجماهير الكثيرة الذين لا يحصى عددهم ويحيل العقل تواطؤهم على الكذب كما هو مثلاً تواطؤ الناس جميعاً على الاخبار بوجود مكة والحال انها غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهلم جرّاً عن الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوا سيدنا محمداً ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب ورأوه رأي العين واحاطوا باحواله وبما جرى له في مدة حياته مع الامم حتى تم له تصديق الالوف من اتباعه بكل ما جاء به انه بعد ما مضى له من العمر اربعون سنة بين قومه وقد عرفوه بالصدق والامانة حتى دعوه « محمداً » الامين ولم يجر له في تلك المدة تعلم القراءة والكتابة ولم يجتمع مع اهل هاتين الصنعتين اجتماعاً يمكنه معه ان يتعلمهما منهم وبإهله ذلك لا كتساب جملة معارف الامم وشرائع الاقدمين وقوانين الممالك ولم يعثر عليه في تلك

المدة انه كان يعاني شيئاً من ذلك وكذلك لم يجر له في تلك المدة ممارسة صناعة الفصاحة والبلاغة فلم يكن له عناية بالاشعار والخطب والرسائل العربية لا قولاً ولا رواية ولم يكن مولعاً بمحاورة الفصحاء ومغالبة البلغاء من كل مايقوى فيه ملكة تلك الصنعتين الشريفتين ويؤهله الى بلوغ الدرجة القصوى فيهما قام بين جماهير العالم من عرب وعجم مع قلة ذات يده وفقد الناصر والمعين وليس في آبائه سبق سلطنة قد زالت فيظن به انه يريد استردادها بالتحيل على الرئاسة فادعى ان الله تعالى قد ارسله الى الناس كافة ليبلغهم ماشرعه لهم متكفلاً بنجاحهم في الدنيا والاخرة وان هذا الشرع يناسب زمانه الذي ارسل فيه الى انقضاء هذه الدنيا وهو ناسخ لكثير من احكام شرائع الرسل الذين ارسلوا قبله في الزمان الماضي الذي كانت تلك الاحكام المنسوخة تناسبه وانه ينهاهم عن عوائد واخلاق قبيحة مضرة بصالحهم ورثوها عن آبائهم او زينها لهم الشيطان واقبح شيء منها عبادة الاوثان والنيران والاحجار والاشجار وانه يأمرهم بتوحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وافراده تعالى بالعبادة واداء شكره على نعمه التي انعمها عليهم و بالحقيقة ذلك الشكر عائد بالمنافع

اليهم كخضوعهم له في الصلوات الناشيء عنه تهذيب نفوسهم ووصلتهم مع خالقهم وكزيارتهم الامكنة التي وعدهم عندها غفران السيئات الى غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير فعندما سمع منه اولئك الجماهير هذه الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعواه وعادوه اشد المعاداة وهجر منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان وتحول له الاوداء اعداء والموافقون اخصاماً الداء ثم اخذوا في مجادلته ومخاصمته وجرهم منهج المجادلة الى طلب الحجة وصار كل منهم يطلب منه برهاناً على صدق دعواه ويستحل له التعجيز في كل ما يهواه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ينصب لهم الدلائل ويجيب منهم كل سائل ومن اعظم الحجج التي استند في اثبات دعواه اليها وجعل معظم اعتماده عليها ما تلاه عليهم من مجموع كلام عربي يسميه قرآناً ويقول انه من عند الله تعالى ارسله به اليهم وهو مشتمل على التصريح بانه رسول الله تعالى الى الناس كافة وانه صادق في كل ما يبلغه عنه تعالى وهو متكفل ببيان الشرع الذي شرعه الله تعالى لهم وانه يتحداهم باقصر جملة منه يسميها سورة بمعنى انه يستدل على انه من عند الله تعالى بعجز فصحاء اهل اللسان العربي وبلغائه عن الاتيان بما يساوي اقصر صورة

منه بفصاحتها و بلاغتها وقد كان في الامة العربية امراء الفصاحة والبلاغة العربيتين الرائج في ذلك الزمان سوقهما بين اهل تلك الامة فكانتا اعظم علومهم واكرم مفاخرهم وهم اكثر الناس شاعرًا وخطيبًا وفيهم العالمون باساليبهما الحاملون اعلامهما والمحيطون باسرارها وبما هو في طوق البشر من مراتبهما وبما ليس في طوقهم ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يصفهم بالضعف والقصور عن معارضة اقصر سورة من ذلك القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا منوهاً بذلك في كل محفل مشهرًا له في كل جحفل ومع ذلك يسفه احلامهم في عاداتهم وعباداتهم ويطعن في معبوداتهم التي عبدوها بضلالاتهم فاخذ علماء الفصاحة والبلاغة منهم وامراؤها بينهم يتأملون في ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار التبيان ويتدبرونه تدبر الناقد البصير عسى ان يتبين لهم طريق لمعارضته وابطال حجته فلا وربك ما وجدوا (وأن يوجد الى الان وبعد الان الى انقضاء الزمان مع وفور الفصحاء والبلغاء وكثرة الاعداء الالداء نقول هذا على رؤوس الاشهاد والقرآن ينطق به في عدة آيات وهو يتلى في كل ناد) لكن ظهر لهم ان هذا القرآن قد بلغ مرتبة في الفصاحة والبلاغة لا تدركها القوى البشرية ولو ان احدًا كابر

وعارض الجاه بالغث البارد واصبح سخرية عند الصادر والوارد فتحقق لديهم عجزهم عن معارضته ولو باقصر سورة منه فاقر من وفقه الله تعالى منهم بعجزهم بل بعجز البشر وبان ذلك دليل على انه من عند خالق القوى والقدر وصدقوا دعوى سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة من الله وتركو عاداتهم القبيحة وعباداتهم الباطلة واعتنقوا ما شرعه الله تعالى لهم واجتباه ثم ان كثيرا ممن لم يكونوا من اهل الفصاحة والبلاغة من الامة العربية او من سواهم من الاعاجم وجد لهم من الاستدلال بمعجزة القرآن على صدق سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم بدعوى الرسالة ما يقنع افكارهم ويحملهم على اعتناق دينه الشريف وذلك بان يقولوا ان ﴿ محمدا ﴾ عليه الصلاة والسلام قد قام بدعوى الرسالة فريدا وحيدا مخالفا لجميع العالم في عاداتهم وعباداتهم لاناصر له ولا معين وقد ادعى عجز فصحاء العرب و بلغائهم المشهود لهم بكمال الفصاحة والبلاغة عن معارضة اقصر سورة من قرآنه الذي جاء به وهؤلاء مع تمسكهم بعاداتهم وعباداتهم الموروثة عن ابائهم والمألوفة من لدى نعومة اظفارهم ومع تعصبهم لعشيرتهم و بني جلدتهم وليس لدى ﴿ محمد ﴾ من حطام الدنيا ما يبعث على

رغبتهم في اتباعه ولا هو صاحب عصبية وقوة تخيفهم من بطشه لانه في اول دعواه عاداه الاهل والارحام بل جميع الانام فقد اقر اولئك الفصحاء البلغاء بعجزهم عن معارضة اقصر سورة من قرآنه وان درجة الفصاحة والبلاغة المحتوي عليها لا تبلغها الطاقة البشرية وصدقوا بدعواه الرسالة من عند الله تعالى فلولا انهم قد تحقق لديهم على ما عندهم من كمال المعرفة في فن الفصاحة والبلاغة انهم عاجزون عن معارضة قرآنه وان ذلك القرآن لم يكن الاتيان به في طوق البشر وهو دليل على انه من عند الله تعالى لما امنوا ﷺ بمحمد ﷺ وتركوا عاداتهم وعباداتهم الموروثة المألوفة ولا رغبة هناك لهم في حطام ولا خوف من انتقام ولا يخفى ان اصعب شيء على العاقل مفارقة دينه الذي يرجو به النجاة في الدنيا والآخرة واصعب شيء بعد ذلك عليه مفارقة عوائده التي الفها وتلقاها عن اسلافه حتى ان البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها وتحكم عليه نفسه بملازمتها فالعاقل لا يفارق دينه الا اذا تيقن النجاة في دين سواه ولا يهجر عوائده لا سيما الموروثة المألوفة الا بسبب قوي قاهر فحال هؤلاء القوم الفصحاء البلغاء مع ☆(محمد)☆ وايمانهم به على هذا الوجه هو دليل لنا كاف لتصديقنا اياه فيما

ادعاه من الرسالة من عند الله تعالى (وليس ايمان هؤلاء الفرقة بالتقليد للفرقة الذين هم اهل معرفة بالفصاحة والبلاغة بل ايمانهم بطريق استدلالي كما هو ظاهر ولهذا الطريق وامثاله كلفت الاعاجم بالايمان برسالة نبينا عليه الصلاة والسلام وان لم يعرفوا لسانه العربي)

ثم ليعلم ان في القرآن استدلالاً على صدق سيدنا *(محمد)* صلى الله تعالى عليه وسلم في دعوى الرسالة من طريق غير طريق اشتماله على الفصاحة والبلاغة اللتين اعجزتا فصحاء العرب و بلغاءهم وهو ايضاً معجزة من هذا الوجه خارقة للعادة لا يمكن البشر الاتيان بها و بيان ذلك انه اذا تأمل فيه اهل الخبرة في نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه وذوو المعارف والفنون والسياسات وتدبروا اساليبه ومحتوياته ظهر لهم بالنظر الصادق ان هذا القرآن قد وجدت فيه خواص فاضلة وصفات كاملة لا يمكن في العادة اجتماعها في مجموع كلام مهما تأتى فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل واحوال الامم في شؤونها اجمع والاحاطة في جميع الفنون والاداب والحكم والسياسات وتحري فيه عدم المناقضة والتضارب وحسن الاسلوب مع الانفراد عن الاساليب المعهودة عند العرب الا ان يكون

القائل هو الله تعالى القادر على ذلك كله وعلى جمعه في كلام يريد جمعه فيه وذلك انهم يجدون هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة تأتي طبق اخباره كوعده اتباع *(محمد)* عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الامر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هي حكاية من شاهدها وحضرها ويخبر عن الضمائر من غير ان يظهر ذلك من اصحابها بقول او فعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض اتباع *(محمد)* عليه السلام ولبعض اعدائه (كما جاء في التفاسير وكتب الاحاديث) وهو مع اتساع مجاله في كل فن من اخبار واحكام ومواعظ وامثال واخلاق واداب وترغيب وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة الاخصام وتبكيت الطغام واقامة الدلائل على وجود الباري تعالى وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب ووصف دار النعيم واحوال سكانها ودار الجحيم واهوالها ووصف عالم السموات وما في العالم العلوي من الايات من كواكب وامطار وسحائب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وانهارها وما اشتملت

عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وازهار واثمار واشجار واطيار وظلمات وانوار حتى يصح ان يقال انه لم يبق علماً من علوم الاوائل والاواخر الا صرح به او اشار اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خالياً عن جميع العيوب خارجاً بحسن نظمه عن مشابهة كل اسلوب ليس له مثال يحتذي عليه ولا امام يقتدي به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الخطب البدوية ومع ذلك فهو في العقول مستحسن وفي النفوس مستملح وفي الاذواق مستعذب وفي القلوب محبوب وللاسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن اي الافواه سمع علا وغلا ولا يصح في العقل السليم ان تجتمع كل تلك الصفات فيه اتفاقاً ولا يصدق بالصدفة في ذلك الفكر الصحيح فمن الواجب في حق هؤلاء المتأملين فيه والمتدبرين فيما يحويه واللائق بانصافهم بعد ذلك ان يقولوا ان الذي ظهر لنا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات في هذا الكلام البديع انه كلام تعجز عنه قوى البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً فاتيان *(محمد)* عليه السلام به وهو امي ومن المحال عادة ان ياتي به اكابر العلماء واحذق الفلاسفة واعظم المؤرخين واكابر السياسيين دليل واضح على انه من عند الله تعالى ارسل به *(محمداً)*

ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه في دعوى الرسالة واعلم ان هذا الطريق في الاستدلال على كون القرآن معجزة ايد الله تعالى بها سيدنا *(محمداً)* صلى الله تعالى عليه وسلم قد هدى الله تعالى به كثيراً من اتباعه عليه الصلاة والسلام كما هدى بالطريق الاول وهو احتواء القرآن على الفصاحة والبلاغة اللتين عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم بسببهما عن معارضة اقصر سورة منه ولم يزل كل من هذين الطريقين سهل السلوك على اهل المعرفة بفن الفصاحة والبلاغة وعلى اصحاب المعرفة بفضائل الكلام الى الآن وبعد الآن الى انقضاء الليالي والايام ومن لم يكن من اهل هاتين الفضيلتين فله الاستدلال بخضوع اهلهما وتسليمهم بتلك المعجزة الخارقة للعادة حتى فارقوا دين ابائهم وعوائدهم واتبعوا سيدنا *(محمداً)* صلى الله تعالى عليه وسلم في دينه وهداه كما تقدم شرح ذلك قريباً وبذلك ظهر ان معجزة القرآن التي عطيها سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هي معجزة باقية الى آخر الزمان وبقية المعجزات وان يكن قد انتفع بها من شاهدها ممن كان في عصر الرسل عليهم الصلاة والسلام وانتفع بها من نقلت اليهم بالنقل الصحيح كاهل الاعصر التي بعد الرسل لكنها لم تبق مشاهدة الى الآن وبعد الآن فالمعجزة

القرآن هذه الخاصة من بقاء مشاهدتها على كرور الزمان وهذا من جملة ما اكرم الله تعالى به سيدنا *(محمداً)* صلى الله تعالى عليه وسلم وخصه به عن سائر الرسل الكرام لكن الهداية بيد الله تعالى يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم

ومن معجزات سيدنا *(محمد)* صلى الله تعالى عليه وسلم التي ذكرت في القرآن الشريف والحديث المنيف انشقاق القمر فرقتين بطلبه عليه السلام من ربه حينما طلب منه المشركون ذلك فرأى انشقاقه الكثير من اهل مكة اسلاماً ومشركين وورد الى مكة جماعات من المسافرين الذين كانوا بعيدين عنها ولكن افق امكنتهم مساوٍ لافقها فاخبروا انهم رأوا انشقاق القمر في تلك الليلة وعدم رؤية اهل الارض جميعاً لتلك الحادثة لا ينافي وقوعها لان القمر بسبب اختلاف الافاق التي يراه منها اهل الارض لا يظهر على الناس جميعاً في آن واحد بل كل وقت يظهر لاهل افق ويخفى عن غيرهم كما يعلم من فن الهيئة وهذه المعجزة من يسمع بها ويكون مؤمناً بوجود الاله القادر ويتصور ان انشقاق القمر من الجائزات العقلية لا يمتنع عن التصديق بوقوعها بعد صحة نقلها وتوضيح جوازها ان القمر ما هو الا جسم من جملة الاجسام القابلة للانقسام

والالتحام وكم يوجد في ارضنا من انشقاق جبال عظيمة وحدوث
وديان لم تكن والتحام جبال كانت منفصلة وهـذه الحوادث
الارضية وان تكن جرت عادة الله تعالى بايجادها باسباب يحدثها
الله تعالى من نحو الزلازل والصواعق والامطار الغزيرة ولكن
تلك الاسباب ما هي الا عادية والله تعالى قادر على ايجاد تلك
الحوادث بدون تلك الاسباب كما يعلم من كمال قدرته سبحانه
والقادر على التصرف بهذه الاجسام الارضية تلك التصرفات
هو قادر على التصرف في القمر بالانشقاق ونحوه اذ لا فرق بينه
و بينهـا في الجسمية وقبول الانشقاق والالتحام الا ان القمر
اكبر منها والكبر والصغر لا دخل له في قبول ذلك وعدم قبوله
في جانب قدرة الله تعالى ثم ان الروايات الصحيحة التي نقل
لنا فيها تلك المعجزة تفيد ان القمر انشق فرقتين فرقة فوق الجبل
وفرقة دونه والمراد بذلك انه صار بمرأى الرائي ان فرقة منه
فوق الجبل اي في افقه لا بمعنى انها ركزت على نفس الجبل وفرقة
دونه اي في مقابلته لا بمعنى انها تحت الجبل وهكذا يقول الواحد
منا قد رأيت القمر فوق الجبل وخلفه وفوق البحر والحال ان
القمر ليس كذلك وانما مراده التعبير عن كيفية الرؤية له فلا
يقال ان القمر جسم كبير جداً دون ارضنا بقليل على ما يقوله

علماء الهيئة فلا يمكن ان فرقة منه توضع على نفس جبل صغير
من جبال الارض ويسعها ذلك الجبل وفرقة منه تكون تحت
الجبل بالفعل لان هذا غير مراد كما علمت وانما نصت الرواية
على كيفية هذه الرواية لتفيد ان الفرقتين من القمر قد تباعدتا
عن بعضها حتى لا يكون للمشركين اشتباه فيما لو كانتا متقاربتين
فيقولون ان رؤيتنا انشقاقه هي من غلط الحس والتخيل الذي
لا اصل له في الواقع ومن المعلوم ان القادر على شق القمر
فرقتين هو قادر على تباعدها ذلك التباعد ثم ضمهما لبعضهما
ثم من غريب ما يحكى عن بعض شروح المدونة ان فرقة منه
نزلت لجنبه وخرجت من كمه عليه السلام فهذه الرواية غريبة
لا يجب علينا الايمان بها لعدم قوة سندها فلا حاجة لنا في تأويلها
وتطبيقها على قانون العقل ومع هذا فيمكن تطبيقها بان تلك
القطعة كانت صغيرة قابلة للنزول والخروج من كمه اذ لا صراحة
في تلك الرواية بانها كانت نصف القمر وهذا لا استحالة فيه
وقدرة الله تعالى صالحة لذلك ونحن معشر المسلمين لما نقل لنا
انشقاق القمر معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام بالنقل الصحيح
وهو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى
آمنا وصدقنا بوقوع ذلك بلا ريب

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوف الشمس مدة من الوقت وردها بعد المغيب وقد روى هذا في بعض الاحاديث وروى ايضاً ان الشمس وقفت عن المغيب ليوشع بن نون عند ما كان مع بني اسرائيل يقاتل الجبارين وذلك معجزة له ايضاً والاحاديث في وقوف الشمس وردها وان كانت آحادية بمعنى ان نقلها لم يكن متواتراً قطعي الثبوت بحيث يكفر منكره لكن الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والا سلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق ووقوف الشمس وردها بعد المغيب وان كان في نفسه امراً عظيماً جداً ولكنه من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يعد عظيماً بالنسبة لعظيم قدرته سبحانه وتوضيح ذلك انه سواء اعتبرنا ان الشمس هي التي تسير او ان الارض هي التي تدور على محورها وتمر باوجهها على الشمس كما تقول به الهيئة الجديدة فكلا الامرين لم يكن الا بقدرة الله تعالى فهو الذي يسير الشمس او يدير الارض مقهورة بقدرته وسلطانه والذي يكون قادراً على تحريك كل من هذين الجسمين العظيمين هو قادر على ايقافهما ساعة من النهار او على عكس حركتهما مدة من الوقت ثم اعادة الحركة كما كانت ولا يلزم على ذلك محال وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة

الجديدة وان الارض هي التي تدور لو وقفت الارض عن حركتها او انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر اخذاً بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويغرق اهلها قلنا ان القادر على ايقاف الارض او عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعاً للارض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول اهل الهيئة الجديدة لاجل غرض واحد من البشر وهو *(محمداً و يوشع)* عليهما السلام لانا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لاجل مجرد غرض واحد من البشر وانما هو لحكمة بالغة وهي اظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتداء الوف من الخلق و يرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الايمان الذي يحييها الحياة الابدية و ينشأ عنها تثبيت الوف وتمكينهم بالايمان ممن امنوا قبل ذلك و يبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل و ينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداه و يتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب اعماله فهذه الحكمة العظيمة توازي في

العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها و يليق بهـا ان تحصل تلك الخارقة لاجلها على ان ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في ان كلاً منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شيء منهما لدى عظمته وان كان في نظرنا القاصر اننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله سيان في الجواز والامكان ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد ان الرسول طلب وقوف الشمس او اعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة الجديدة بدوران الارض انه كان الصواب في حق ذلك الرسول ان يطلب وقوف الارض او عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من ان يكون الرسول يعلم حقيقة الامر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى اهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لاهل لغتهم ويجرى في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم

يعتقدون وقوعها وحركة الارض ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض او غربت او وصلت الارض لمقابلة نور الشمس او فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة اذا علمت ما قررناه واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه فاعلم اننا معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام يهدي و يثبت بها الالوف من الانام

ومن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التي نقلت الينا في الاحاديث الشريفة نبع الماء من بين اصابعه فاستقى منه العدد الكثير وتكثير الطعام القليل حتى شبع منه الجم الغفير فمن يعتقد بوجود الاله سبحانه وقدرته على خلق الاجسام وابرازها من العدم او قلبها من صورة الى صورة فلا مانع يمنعه من تصديق هاتين المعجزتين وتوضيح ذلك انه لا مانع ان الله تعالى عند طلب الناس من الرسول الماء خلق سبحانه الماء او قلب الهواء ماء وصار يبرزه للحاضرين من بين اصابع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى اكتفى المستقون للماء وقلب الهواء ماء هو داخل تحت قدرة الكيماويين في كسبهم وقد ورد قريباً في المجلات العلمية انهم اكتشفوا قلب الهواء سائلاً فما بالك بقدرة خالق الهواء

والماء واهل الكيمياء وكذلك لا مانع ان يخلق الله تعالى طعاماً من جنس الطعام القليل الذي كان في حضرة الرسول ويضيفه اليه ولم يشاهد الحاضرون الا ان الطعام القليل قد كثر وشبع الكثير منه فحيث كان جميع ذلك من الجائزات العقلية وقدرة الله تعالى صالحة لابرازه وقد نقل لنا وقوعه معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آمنا وصدقنا به معشر المسلمين

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام شفاء الامراض المعضالة على يديه بمجرد لمسه لاصحابها او دعائه لهم ورد عين احد اصحابه بعد ما قلعت فعادت احسن ما كانت واحياء الميت بمجرد دعائه وهذه الخوارق قد نقلت لنا بالاحاديث الشريفة فآمنا بها وصدقنا لانها جائزة وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وهو الذي يوجدها على يد رسوله معجزة له وتوضيح ذلك ان شفاء الامراض وان كانت عادة الله تعالى فيه هو ان يكون باسباب وفي زمن ممتد لكن ذلك امر عادي والله قادر على ابرازه بدون ذلك خرقاً للعادة كما مرّ بيانه وارجاع العين المقلوعة وان لم تجر العادة فيه فانه من الجائزات العقلية ولا يحكم العقل باستحالته وانا نرى كثيراً من الاطباء يعالجون بعض اجزاء الجسم الحيواني بعد انفصاله ويلتحم بواسطة العمليات

الجراحية ورد العين وان لم يكن داخلاً تحت كسبهم وقدرتهم ولكنه داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى الكاملة التي لا تقاس قدرتهم بها واحياء الميت فهو من الجائزات العقلية وان لم تجر العادة به وان القادر على جعل الجماد حيواناً واعطائه الحس والحركة والادراك هو قادر على احياء الجسم الحيواني بعد ان تفارقه الحياة فمن يتصور عظمة قدرة الله تعالى وعجائب اعماله لا يمتنع من تصديق وقوع هذه الخارقة ما دامت تنسب لفعله تعالى

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم نطق الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والشجر والحجر وشهادتها له بالرسالة وقد نقل الينا هذا في الاحاديث الشريفة وورد في القرآن المجيد نظيره وهو كلام الهدهد والنملة لسيدنا سليمان عليه السلام وهذه الخوارق هي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وبيان ذلك ان كل شيء في هذا الكون من اجسام واعراض كالاصوات وغيرها هو بخلق الله تعالى فكلام الانسان الكبير هو لا شك بخلق الله تعالى ونفس طبيعته الحيوانية لا تستلزم صفة الكلام اذ لا فرق بينها وبين طبيعة الحيوانات العجم في الحيوانية بل لا فرق بينها وبين الجمادات

في اصل الجسمية كما ان صورته لا تستلزم صفة الكلام ايضاً اذ قد يوجد من انواع القرود ما يشابه الانسان في الصورة تمام المشابهة الا في اكتساء جلده بالشعر وهـذا لا يكون فرقاً موجباً لتخصيص الكلام بالانسان الكبير ومع ذلك فلا يتكلم ذلك القرد ولا دليل على وجوب انحصاره صفة الكلام بالانسان بل قد وجد بعض الحيوانات البعيدة المشابهة عنه قابلة لتعلم الكلام وذلك كالطير المسمى بالببغا وفيما قررناه قد ظهر ان نوال الانسان لصفة الكلام ما هو الا بتشريف الله تعالى له بها وان قيل يمكن ان يكون في الانسان الكبير شيء خفي علينا ولم يوجد في غيره هو الموجب له صفة الكلام ولعله الذي يسمى بالقوة الناطقة و يعد فصلاً للانسان او تكوين خاص في مخه كما يقول المتأخرون قلنا حصر الموجب للكلام في هذين غير مسلم على ان الثابت عندنا ان مثل هـذا الموجب سبب عادي والله قادر على خلق الكلام بغير واسطته فالقادر على خلق صفة الكلام فيه قادر على خلقها في غيره من الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والجماد وان كان هذا خلاف العادة فالله تعالى يخرق به العادة معجزة لرسوله فيخلق تلك الالفاظ التي وجدت من ذلك الشيء الذي لم نعهده يتكلم و يصدرها عنه و يسمعها الحاضرون فنحن معشر المسلمين

قد آمنا بهذه المعجزات لانها من الجائزات الداخلة تحت قدرة رب الارض والسموات

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي وردت الاشارة اليها في القرآن المجيد وبينها الحديث الشريف رميه صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه الكفار يوم الحرب بكف من تراب فاصاب عين كل واحد منهم شيء من ذلك التراب وانهزموا وهذه الخارقة من الجائزات العقلية اذ لا مانع من وصول شيء من ذلك التراب لعين كل واحد ولكن ليس في قدرة احد من الناس ان يوصله هذا الايصال ويوزعه على اعينهم هذا التوزيع ولكنه في قدرة الله تعالى فهو قادر على فعل ذلك معجزة لرسوله عليه السلام وقد امتنّ عليه بهذه الخارقة التي صرف بها عنه وعن اصحابه الاعداء فقال في القرآن الشريف مخاطباً له عليه السلام بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني وما رميت حقيقة واوصلت التراب الى كل عين من اعين الكفار حين رميت ظاهراً لان ذلك ليس في قدرتك ولكن الله هو الذي رمى حقيقة واوصل حبات التراب لاعين اعدائك المحاربين فنحن معشر المؤمنين نؤمن بحصول هذه الخارقة معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزات سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اخباره بالمغيبات سواء كانت حاضرة في الزمان غائبة عن العيان او كانت مستقبلة ستأتي ولو بعد مئات من السنين وهذه المعجزة بلغت الاحاديث في كثرة حدوثها حد التواتر المعنوي وافراد حوادثها بحر لا ساحل له اما اخباره عليه السلام بالمغيبات التي كانت حاصلة في زمانه وغائبة عن عيانه فذلك كاخباره بوفاة النجاشي و بالظعينة الحاملة الكتاب الى قريش وفي كتب الاحاديث من ذلك شيء كثير جداً تضيق عنه الصحف فمن اراد الاطلاع على ذلك فليرجع اليها فيرى العجب العجاب واما اخباره بالمغيبات المستقبلة فهو شيء كثير الحوادث منه ما وقع في حياته ومنه ما وقع بعد وفاته بعد ازمنة قليلة او متطاولة ومنه ما سوف يقع واذكر شيئاً من هذا النوع مما ورد في القرآن المجيد او الاحاديث الشريفة على وجه الاختصار يظهر به الحق بلا انكار فنقول من ذلك ما ورد في القرآن الشريف ان اصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين وكانت مكة حينئذ في ايدي المشركين وهم محاربون له ولاصحابه فدخلها هو واصحابه عليه الصلاة والسلام وحقق الله تعالى لهم ذلك ومن ذلك قوله في القرآن غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم

سيغلبون في بضع سنين فكان الامر كذلك فبعد ان غلبت فارس الروم غلبتهم الروم في بضع سنين اي ما بين الثلاث سنين الى العشر كما اخبر القرآن يعلم ذلك من السير النبوية والتاريخ وفي القرآن جملة اخبار غيبية يعلم بيانها من كتب التفاسير ومن ذلك ما ورد في الاحاديث الشريفة كما رواه الشيخان واصحاب السنن والحفاظ الائمة كاحمد والشافعي وابي حنيفة ومالك من انه عليه السلام اخبر اصحابه بالظهور على اعدائهم وبفتح مكة والقدس الشريف والشام واليمن والعراق وظهور الامن في الممالك الاسلامية حتى تصير المرأة تسافر من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله تعالى فكان ذلك ولله الحمد في حياته وبعد وفاته عليه السلام واخبرهم بما يفتح الله تعالى على امته وما يؤتون من زهرة الدنيا وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك وفتحت امته بلاد كسرى وقيصر وقسمت خزائنهما بينهم واخبرهم انه يغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى يعني تفيض عليهم الدنيا ويأخذون بالتنعم بعد قشف العيش الذي كانوا فيه وكان الامر كذلك وهذا وضع صحفة ورفع اخرى تحقق في كيفية تناول الطعام الذي يسمى في اللغة التركية (قالدر)

واخبرهم انهم يقاتلون الخزر والروم وبذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وكان الامر على ما اخبر واخبر انه زويت له الارض فأُرى مشارقها ومغاربهـا وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها وكذلك كان فامتد ملك امته في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند في المشرق الى بحر طنجة في المغرب ولم يمتد في الجنوب والشمال مثل ذلك الامتداد واخبر بالموتان الذي كان بعد فتح بيت المقدس فكان بعد ذلك الفتح طاعون عمواس واخبر بما ينال اهل بيته رضي الله تعالى عنهم من التقتيل والتشريد و يقتل سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه في الطف فكان ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل واخبر عن الحسن رضي الله تعالى عنه بانه يصلح الله به بين فئتين فكان الصلح بسببه بين الفئة التي معـه والفئة التي مع معاوية وقال لسراقة احد اصحابه كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما اتى بهما لعمر عند فتح بلاد فارس البسهما لسراقة وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة كما نقله السيوطي في الجامع الصغير ونقله في جمع الجوامع عن البخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك ونقل بعضهم عن الامام احمد في مسند حسن وصححه عن بشر الغنوى لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير

اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش وقد حقق الله تعالى فتح القسطنطينية على يد ساكن الجنان السلطان محمد الغازي المشتهر بابي الفتح في عام ثمانماية وسبع وخمسين من هجرة سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم واصبحت عاصمة دار الاسلام ومقر خليفة سيد الانبياء العظام وموئل الخاص والعام وما احسن تلك الشهادة من حضرة فخر الكائنات عليه افضل الصلوات والتحيات في حق فاتح القسطنطينية حضرة مولانا السلطان محمد الغازي بلّ الله ثراه برضوانه واسكنه فراديس جنانه وفي حق جيشه المؤيد المنصور وما اكرمها من منحة تنشرح بها الصدور كيف وهي من اعظم المناقب الحسان لساداتنا سلاطين آل عثمان مع ما لهم من المفاخر التي لا تعد والمآثر التي لا يحيط بها حدّ بما فتح الله تعالى على ايديهم من الممالك العظيمة والاقاليم الجسيمة وجمعهم كلمة اهل الاسلام بعد التفرق وانقسام ممالك الاسلام الى اقسام عديدة وحكومات متباينة كل ذلك مع محافظتهم على الشريعة المحمدية المطهرة وتأييد الملة الحنيفية المنورة ونصرتهم مذهب اهل السنة والجماعة وحمايتهم للممالك الاسلامية وثغورها وتعظيمهم لحملة الشريعة المحمدية من علماء الدين وتعظيمهم ومودتهم لآل بيت سيد المرسلين واشرف النبيين اكراماً

لجدهم الاعظم واستمدادا لروحانيته صلى الله تعالى عليه وسلم وخدمتهم للحرمين المحترمين والمسجد الاقصى وتشييدهم من الجوامع والمساجد وبيوت الاذكار وجليل الاثار ما لا يحصى وتعهدهم بالعطايا صنوف المحتاجين وتطييب قلوب افراد التبعة العثمانيين وبذل ثابت الهمم في تاييد هذا الدين واقامة شعائر الموحدين ونشر العلوم والمعارف في سائر الاقطار وكافة النواحي والامصار الى غير ذلك من المناقب الجليلة والمآثر الجزيلة التي ملأت الكتب والدفاتر وقصرت عن احصائها الاقلام والمحابر فالله المسئول ان يؤيد شوكة مجدد مفاخرهم ومؤيد مآثرهم حضرة سلطاننا الاعظم وخليفة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ممر الدهور والازمان ملحوظاً بعين عناية سيد الاكوان صلى الله تعالى عليه وسلم آمين آمين وليعلم ان هذه الاحاديث الواردة في اخباره عليه السلام بالامور المستقبلة قد دون كثير منها في تاليف العلماء الائمة الاعلام قبل ان تحدث وقائعها في الكون ثم بعد ذلك صارت تحدث واحدة بعد واحدة وتلك التآليف معلومة. مشهورة معلوم تاريخ جمعها وكتابتها هذا حديث فتح القسطنطينية رواه الامام احمد الذي كان قبل فتحها بمئات وكذلك نقله السيوطي في جمع الجوامع عن البخاري في

التاريخ والحاكم في المستدرك وكل من البخاري والحاكم كان قبل فتحها بمئات ومعاذ الله ان ينقل تلك الاخبار في كتبهم اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانصار شريعته وتكون غير ثابتة الرواية عندهم فلولا اعتمادهم روايتها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما حرروها في كتبهم باقية على مدى الدهور وهم يعلمون وفور اعداء الدين المبين ومن المعلوم ان سيدنا ﷺ محمدا ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم كان من العقل في اعلى الطبقات كما يشهد له بذلك اعداؤه وكيف يقدم عاقل ادعى منصب الرسالة من عند الله واتبعه عليه الالوف على الاخبار بتلك الامور المهمة كفتح القدس والشام والقسطنطينية وامثالها وهو يعتقد ان ذلك لا يكون ويعرض نفسه للتكذيب والطعن في مستقبل الزمان معاذ الله ان يقدم عاقل على ذلك فليتأمل المنصف ثم ليعلم بعد ذلك كله ان الاخبار بالغيب ليس في طوق البشر من رسل او سواهم ومن ادعى علم الغيب من نفسه فقد قال العلماء انه يكفر وانما الذي يحصل للبشر من ذلك انما هو باعلام الله تعالى لهم وهو سبحانه عليم بما كان وبما يكون فلا اشكال في ذلك فنحن معشر المسلمين نؤمن بوقوع الاخبار المغيبات من الرسل باعلام الله تعالى لهم عليهم الصلاة والسلام

واذا اردنا ان نستوفي معجزات سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم التي ايده الله تعالى بها احتجنا الى كتابة مجلدات ولكن قد ذكرنا منها ما يكون فيه للعقول مقنع وفي الحقيقة ونفس الامر اذا نظر العاقل اللبيب في نفس شريعته عليه السلام وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والمنافع الدنيوية والاخروية ونظر في ذاته الشريفة وما خصه الله تعالى به من الشمائل والاخلاق المنيفة مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ربى يتيماً ونشأ اميا لا يقرأ ولا يكتب بين قوم اميين ما عندهم من المعارف والفنون عين ولا اثر الا ما فطرهم الله تعالى عليه من الفصاحة والبلاغة ولم يجتمع مع اهل المعارف اجتماعاً يؤهله لاكتساب شيء مما جاء به وبلغه للخلق وما جاء به بحر عجاج يستغرق الاحاطة بعشره العمر المديد جزم ذلك العاقل اللبيب ان حاله عليه السلام وحال شريعته هو امر خارق للعادة يحكم العقل بانه معجزة اكرمه الله تعالى بها مؤيدة لدعواه ولكن هذه المعجزة لا يدركها ولا يفهم كنهها الا اهل الدقة في النظر واذكياء الخلق من البشر لان من سواهم لا يفهم الا المعجزات المحسوسة بحاسة السمع والبصر مثل كلام الحجر والشجر وانشقاق القمر والله تعالى قد ايد نبيه عليه السلام بكلا النوعين من

المعجزات كما يظهر مما قدمناه في بيان معجزة القرآن الشريف وسواها من المعجزات المنقولة في الحديث المنيف ولنذكر الآن طرفاً من بيان حالة شريعته عليه الصلاة والسلام وحالته الشريفة العظيمة الشان عسى ان ينتفع بذلك بعض اهل هذا الزمان فنقول اذا نظر العاقل المنصف في شريعة حضرة سيدنا ﷺ محمد ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم نظر من يريد الاطلاع على الحقائق واحاط باسرارها على قدر الطاقة سالكاً اوضح الطرائق ظهر له ظهور الشمس في رابعة النهار ان الشريعة المحمدية تأمر بكل خير وتنهي عن شر وضير هي انفع ما يكون للانام على مدى الليالي والايام فيراها تأمر الخلق بالاعتقاد بالعقائد الصحيحة في حق الله تعالى بوصفه سبحانه بكل كمال يليق بشأن الالوهية وتنزيهه عن كل نقص تتعالى عنه صفة الربوبية وكذلك في حق الرسل الكرام الذين جعلهم الله تعالى هداة الانام من نحو اعتقاد عصمتهم من المعاصي وتنزيههم عن كل نقص يخل بمنصب الرسالة وتامر بعبادات هي في الحقيقة عائدة بالنفع على العباد فتامر بالطهارة وهي مع ما اشتملت عليه من منافع النظافة والنشاط للابد ان تذكار للانسان بالتوبة التي هي طهارة المرء من الذنوب والاثام وتامر بعبادة الصلاة وهي

من اعظم المهذبات للنفس بما اشتملت عليه من الخضوع والخشوع والركوع والسجود تعظيماً لله تعالى وفيهـا التوسل اليه سبحانه والضراعة لديه وسؤاله الرحمـة والمغفرة والاعانة والاستعاذة من العقاب فلذلك كانت وصلة بين العبد وربه وتذكاراً له بمن هو الرقيب عليه فلو انـ الانسان استغرق في الغفلة عن مولاه بانهماكه في اشغال دنياه لطغت نفسه وانساه الشيطان ذكر خالقه وهوّن عليه سلوك سبيل المعاصي والشهوات ولكنه بوقوفه في اليوم والليل خمس مرات بين يدي مولاه مستحضراً عظمته وجلاله يلتجئ الى التوبة عما جناه وتفتر همته عما من المعاصي نواه وفي ذلك يظهر مصداق قوله تعالى انـ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي اجتماعات الصلوات من صلاة الجماعة والجمعة والعيدين تسهيل سبيل التعارف والتآلف بين المسلمين والتعاضد على نصرة الدين والفة الاطاعة لامير المؤمنين وحكم كثيرة يقصر عنها قلم الكاتبين وتأمر بالصوم وفيه تهذيب النفس بمنعها عن شهواتها وتمرين الانسان على ردع نفسه عنـ المعاصي والشهوات المضرة وتذكار المرء باحوالـ الفقراء والمساكين وما يجدونه من الم الجوع ولولا الصيام لكان ربما يمر على الغني عمره ولا يعلم ما هو الم الجوع فلا يجد للشفقة على

الفقراء في قلبه اثر وتأمر بالزكاة وفيها الاحسان للفقراء والضعفاء بسد حاجاتهم وتهذيب نفس الغني وتطهيرها عن خلق البخل المذموم وتأمر بعبادة الحج وهو زيارة امكنة مخصوصة وعد الله الامة على لسان رسوله عليه السلام بغفران الذنوب وقبول التوبة عندها وفي ذلك اجتماع المسلمين الوفاً مؤلفة في تلك الاماكن وذلك يدعو الى التعارف والتآلف وفيه تذكار ما جرى لرسل الله الكرام وعباده الصالحين في تلك البقاع المشرفة كتذكار ما جرى لسيدنا آدم عليه السلام ولزوجته هناك من قبول الانابة للمولى وما جرى لسيدنا ابراهيم الخليل ولولده اسماعيل عليهما السلام من الامتحان واطاعتهما للرحمن وبتذكار اعمال اولئك الاخيار وبمحا كاتها في تلك الديار تنبعث الانفس لتذكار بقية اعمالهم وعباداتهم واطاعتهم لمولاهم وتشتاق للاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم في كل مرضى لاخلاقهم وفيه زيارة البيت المعظم الذي سماه الله تعالى بيته وهو سبحانه غني عن المكان وانما ذلك منه تعالى تنزل لافكار البشر الذين اعتادوا على الالتجاء لبيوت ملوكهم عند ما تدهمهم المصائب فالحجاج يلتجؤن الى ذلك البيت مستجيرين من مصائب الذنوب وغوائل المعاصي طالبين منه تعالى الاجارة من بلايا

الآثام راجين منه الغفران كما وعدهم على لسان سيد الاكوان وبذلك تطمئن نفوسهم بنوال المغفرة عند امتثال ما امروا به من الاعمال عند تلك الامكنة الطاهرة الى غير ذلك من الحكم والاسرار التي يضيق عنها هـذا الكتاب المختصر فليرجع بذلك الى كتب الشريعة الغراء المتكفلة بمزيد البيان وتأمر تلك الشريعة بكل عمل حسن وتنهي عن كل فعل قبيح مضر بالجسد او العقل او العرض او المال وتأمر بالاخلاق المحمودة كالحلم والصبر والرضاء والرحمـة والشفقة وتنهي عن كل خلق ذميم كالكبر والحسد والبغضاء والحقد حتى انها ما تركت امرًا حسنًا الا امرت به وحضت عليه ولا امرًا قبيحًا الا حذرت منه ونهت عنه وقد جعلت لبعض المنهيات الظاهرة الضرر عقوبات وحدودًا لاجل الزجر عنهـا كمثل قتل النفس ظلمًا الذي قبحه لا يحتاج الى بيان ومثل الزنا الذي يقتضي اختلاط الانساب وفقد التناصر وكشرب الخمر الذي يزيل العقل ويؤهل الانسان لارتكاب كل قبيح وكل ذلك ينطوي تحته حكم بديعة واسرار رفيعة تعلم من الاطلاع على كتب هذه الشريعة وكذلك لم تدع بابًا من ابواب المعـاملات والسياسات البشرية الا وضعت له قواعد وشرعت له اصولاً ينتظم بهـا امر المعاش بين البشر

و يستوفي بها كل من القوي والضعيف حقه فبينت اصول البيوع والشركات والانكحة والمواريث والمعاهدات وكيفية الاطاعة لولاة الامر وكل ما يقوم به صلاح الامة من كلي وجزئي يعلم ذلك من الاطلاع على كتب الفقه اصولاً وفروعاً فاتيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الشريعة التي تعجز عن الاتيان بها اكبر العلماء واحذق الاذكياء واكبر السياسيين الممارسين سياسة الامم مع انه عليه السلام كان امياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتفق له تعلم من احد البشر في مدة حياته هو معجزة خارقة للعادة ودليل على ان تلك الشريعة من عند الله تعالى ارسله بها سبحانه لارشاد الخلق الى الحق اما كونه عليه السلام امياً لا يقرأ ولا يكتب فهو امر مشهور متواتر بالتواتر الصحيح الذي جاءت به المئات والالوف من العدول الثقاة وقد صرح به في القرآن الشريف في عدة آيات والقرآن يتلى على رؤوس الاشهاد من زمنه عليه السلام الى يومنا هذا ولم ينكر كونه امياً احد من قومه ولا احد وجد بعد زمانه قال الله تعالى في القرآن الكريم وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون واما انه عليه السلام لم يتفق له التعلم من احد من الناس فلانه نشأ بين قومه في مكة مشهوراً معروفاً بينهم لانه

من ذوي البيوت واصحاب الحسب ومثله لا يجهل في بلدته وقومه اميون لم يوجد بينهم من يعرف القراءة والكتابة الا القليل واما من يكون محيطاً بعده معارف ومطلعاً على سياسات البشر وقوانين الامم بحيث يؤهله ذلك لترتيب مثل هذه الشريعة التي جاء بها الرسول عليه السلام فلم يكن موجوداً بينهم لا منهم ولا من سواهم اذ مثل هذا لا يخفى وجوده في بلدة مثل مكة وكان يغدو مشهوراً بين الخاص والعام ولو قصد ان يخفي نفسه لعسر عليه ذلك وايضاً ان تعلم الرسول عليه السلام تلك الشريعة من مثل هذا الانسان المفروض لا يكون في مجلس او مجلسين بل يحتاج الى اعوام وان يتردد عليه في كثير من الليالي والايام فليس من الممكن عادة ان يخفى تعلمه منه على جميع اهل بلده مهما تحرى ذلك واجتهد فيه وقد كان بعض المشركين تمسكوا بمثل هذه الشبهة وصاروا يقولون ان محمداً ﷺ يتعلم القرآن من فلان وذكروا رجلاً اعجمياً كان بينهم فافتضحوا بهذه الدعوى الواضحة البطلان حيث نسبوا تعلم القرآن الذي هو في اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة العربيتين الى رجل اعجمي ليس عنده ادنى فصاحة ولا اقل بلاغة توجد في اللسان العربي وقد رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة في كتابه المجيد فقال سبحانه

لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وان قيل ربما ان ﴿ محمداً ﴾ عليه السلام تعلم تلك الشريعة من احد الناس خارج مكة في بعض البلاد الشامية التي روى انه سافر اليها قبل دعوى الرسالة مع جملة من التجار قلنا ان الذي ثبت نقله وصحت روايته انه عليه السلام ما غاب عن مكة في البلاد الشامية الا عدة ايام تبلغ الشهرين او الثلاثة هي مدة الذهاب والرجوع وقضاء مصالح التجار الذين سافر معهم وتلك المعارف التي ظهرت في شريعته يحتاج تعلمها الى شهور واعوام وليال كثيرة وايام ولو كان المعلم من ابرع المعلمين والمتعلم من اذكى المتعلمين فاي عاقل يصدق انه عليه السلام تعلم جميع تلك المعارف في تلك الايام القلائل التي غاب فيها عن بلده مكة وهو رجل امي لا يقرأ ولا يكتب وتلك المدة لا تكفي لتعلم باب واحد من ابواب تلك الشريعة ولو كان المتعلم كاتباً قارئاً على ان الرسول عليه السلام ما جاء بتلك الشريعة واظهرها للناس دفعة واحدة من اول دعواه الرسالة بل كان يأتي بذلك مفرقاً موزعاً على الازمنة من اول دعواه الى ان تم دينه وانتشر بين الامم الذين اتبعوه في مدة اثنتين وعشرين سنة فكان يبلغ احكام شريعته وجميع مشتملاتها للناس شيئاً بعد شيء على حسب

المقتضيات والمصالح والحوادث والمشاكل والسؤالات والشبه الواردة من اخصامه فيأتي في مقابلة كل شيء بما يطابقه وفق المرغوب وهذه الكيفية معلومة لنا بالضرورة بما نقل من سيرته وكيفية تمام امره نقلاً صحيحاً متواتراً وحينئذ يقال ما الذي اعلم ذلك المعلم الذي يدعي الخصم انه علم الرسول عليه السلام بجميع الحوادث المستقبلة التي سوف تقع وتتفق له بينه وبين اخصامه او اتباعه سواء قيل ان ذلك المعلم من نفس مكة او من خارجها فعلمه قبل دعواه الرسالة جميع ما يناسب الحوادث التي سوف تحدث معه في مدة دعواه فعرف جواب كل سؤال سوف يرد عليه ودفع كل شبهة وحكم كل حادثة وحل كل مشكلة وصار عليه السلام يورد لكل شيء ما يناسبه ويجب له في وقته مسدداً مقنعاً الافكار وانا نرى من تلك الحوادث ما لا يخطر في بال احد انه سوف يقع او يتفق وقوعه الى آخر الزمان ومن يطلع على ما حدث من الحوادث في مدة دعواه الرسالة يعلم ان احاطة احد بجميع ما سوف يحدث في تلك المدة واستحضار ما يلزم له هو من المحال عادة ولا يقول به الا مكابر وقد كان عليه السلام في اكثر احواله يرد عليه السؤال او الشبهة ويجيب عن ذلك في مجلسه في الملأ العام

بين جماهير اصحابه واعدائه المشركين ولم يشاهد احد حينئذ انه يلتفت الى واحد من الحاضرين ويسأله متعلماً منه ما يلزم له من الجواب او يضطر اليه من الخطاب بل هو المجيب والمدافع والمفيد والمعلم وكل من لديه تلامذة متعلمون فاين هذا المعلم للرسول الذي يزعمه الخصم ما هذا الزعم الافتراء بارد فقد ظهر الحق لذوي الانصاف وتبين ان اتيان سيدنا ﷺ محمد ﷺ الامي بهذه الشريعة الغراء معجزة من معجزاته وان دعوى تعلمه من احد من البشر هي دعوى باطلة لا يقول بها الا كل جاهل باحوال سيرته وتاريخ حياته او معاند مكابر للحق هدانا الله تعالى الى ما فيه النجاة آمين

واما حاله عليه الصلاة والسلام في ذاته الشريفة واخلاقه وشمائله المنيفة فقد نقل لنا العدول وصح لنا الاخبار البالغة بكثرتها درجة التواتر ان سيدنا ﷺ محمداً ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم قد وهبه الله تعالى المحاسن خَلقاً وخُلقاً وجمع الله تعالى فيه الفضائل الدينية والدنوية اما حسن صورته وخلقته فقد ثبت النقل الصحيح انه عليه السلام كان احسن الناس صورة واجملهم خلقة فكان على ما يرام من المحاسن والجمال الباهر كما قال فيه بعض واصفيه

واحسن منك لم تر قط عيني ... واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأً من كل عيب ... كانك قد خلقت كما تشاء

وقد افردت محاسن ذاته الشريفة بالتآليف فليتشرف بالاطلاع عليها من اراد واجمع ما وصفه به الواصفون قول بعض من شاهده عليه السلام هو اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وتخصيص الله تعالى له بحسن الصورة هو من جملة الحكم الالهية فان الله تعالى بعثه داعياً للخلق وحسن الصورة مما تألفه الانفس وتلذ به الاعين فتقبل عليه كما ان قبح الصورة منفر مشرد واما وفور عقله عليه السلام وذكاء لبه فقد صحت الاخبار وتواردت النقول انه كان عليه السلام اعقل الناس واذكاهم ومن نظر الى تدبيره امور بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة وتأليفه اجلاف البوادي واخشان الجبال وتهذيبه لهم حتى اصبحوا من اكمل الناس ادباً ومعرفة وسيرة فضلاً عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت لم يشك في رجحان عقله وثقوب فهمه عليه السلام لاول بديهة وهذا لا يحتاج الى تقرير الدليل

لتحققه بالمشاهدة في عصره وتواتره بعد ذلك بين طوائف العالم وقد اعطي عليه السلام جوامع الكلم وخصص ببدائع الحكم وافرد الناس جوامع كلمه وبدائع حكمه بالتآليف فمن ذلك قوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله لا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له وقوله ما هلك امرؤ عرف نفسه وقوله المستشار مؤتمن وهو بالخيار حتى يتكلم وقوله رحم الله عبداً قال خيراً فغنم او سكت فسلم وقوله ان احبكم اليّ واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقاً الموطؤن اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوماً ما وقوله السعيد من وعظ بغيره الى غير ذلك من جواهر الكلام وجوامعه وبديع الحكم التي يقصر عن استيفائها القلم واما حلمه عليه السلام وعفوه وصبره فقد كان في الدرجة العليا من هذه الاخلاق فقد صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها ولما آذاه المشركون اشد الاذى قيل له

لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة
اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون نعم اخذ يدعو على القبائل
التي غدرت بجملة من قرآء الصحابة وقتلتهم ظلماً غيرة منه عليه
السلام على حرمة الله التي انتهكت في قتل اولئك المؤمنين
المظلومين ولما انزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء
كف عن الدعاء عليهم وفوض الامر اليه تعالى وكم همّ اناس
بقتله غدراً وقبض عليهم فعفى عنهم وكم جافاه اجلاف العرب
فلاطفهم فهو كما نقل وصفه في الكتب القديمة انه لا تزيده
شدة الجهل عليه الا حلماً وكم صبر على مقاساة قريش وصابر
الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم
وهم لا يشكون في اهلاكه لهم عن آخرهم فما زاد على ان عفا
وصفح عنهم وقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء والآثار في ذلك كثيرة وكلها تدل
على انه عليه السلام كان ابعد الناس غضباً واسرعهم رضى واما
جوده وسخاؤه وسماحته عليه السلام فقد كان بحراً زاخراً في
هذه الاخلاق الكريمة فما روى ان رجلاً سأله فاعطاه غنماً بين
جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان ﷺ محمداً ﷺ يعطي عطاء
من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد ماية من الابل ورد على

هوازن سباياهم وكانوا ستة آلاف وقوّم ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة الف الف والروايات في ذلك اكثر من ان تحصى واما شجاعته ونجدته عليه السلام فقد كان منها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح قال علي رضي الله تعالى عنه كنا اذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون احد اقرب الى العدو منه واما حياؤه واغضاؤه فقد كان عليه الصلاة والسلام اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء فكان لا يشافه احداً بما يكره حياءً وكرم نفس حتى كان اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله ولم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فهو امر مشهور فورد انه كان اوسع الناس صدراً والينهم عريكة واكرمهم عشرة وكان يؤلف المسلمين ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم يتفقد اصحابه ويعطي كل جليس نصيبه ولا يحسب جليسه ان احداً اكرم عليه منه من جالسه او قاربه صبر على سؤاله

وذكر حوائجه حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابًا وصاروا عنده في الحق سواء كان دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا عياب ولا فحاش ولا مداح وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافي عليها قال انس رضي الله تعالى عنه خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ولا دعاه احد من اصحابه او من اهل بيته الا قال لبيك وكان يمازح اصحابه ولا يقول في مزاحه الا حقًا ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وما اخذ احد بيده فيرسله بيده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له ويبتدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة ويعزم عليه بالجلوس عليها ان ابى ويدعو اصحابه بأحب اسمائهم اليهم وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته واذا فرغ عاد الى صلاته وروى عن انس رضي الله تعالى عنه كان

خدمة المدينة يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة اي الصبح فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك به واما شفقته ورحمته على امته فذلك امر مشهور وشواهده لا تحصى وقد كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته رحمة بامه و يكفي بالدلالة على ذلك انه ما خير بين امرين الا اختار ايسرها فجزاه الله تعالى عنا كل خير واما خلقه بالوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فهو شهير موفور وقد روى انه وفد عليه وفد النجاشي ملك الحبشة الذي كان قد هاجر الى بلاده جملة من الصحابة فاكرم مثواهم فقام صلى الله تعالى عليه وسلم يخدم اولئك الوفد بنفسه فقال اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم واقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام فاجلسه بين يديه وقد ورد في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه يصل الرحم و يحمل الكل و يقري الضيف و يكسب المعدوم و يعين على نوائب الحق واما تواضعه عليه الصلاة والسلام مع علو منصبه ورفعة رتبته فكان اعظم الناس تواضعاً واعدمهم كبراً كان يقول انما انا عبد

آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس مع اصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وكان يدعى الى خبز الشعير فيجيب ويأكل مع الخادم وحج على رحل رث وعليه كساء من صوف لا يساوي اربعة دراهم وقد اهدى في ذلك الحج مائة بدنة وكان في بيته في مهنة اهله ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويكنس البيت ويعلف البعير ويخدم نفسه ويحمل ما يشتري من السوق مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك تواضعاً وتشريعاً واما عدله وعفته وصدق لهجته صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان اعدل الناس واعفهم واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك اعداؤه وكان يتحاكم اليه في الجاهلية قبل الاسلام وورد انه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وما خير في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه وقد جزء نهاره ثلاثة اجزاء جزءاً لعبادة ربه وجزءاً لمصالح اهله وجزءاً لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الاكبر وقد كان

معروفاً بالصدق بين قومه من اول نشاته حتى دعوه ﴿ محمد ﴾ الامين وقال بعض المشركين بعد بعثته انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله تعالى في القرآن المجيد قوله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون واما وقاره وسمته وحسن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان اوفر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيء من اطرافه وكان كثير السكوت لا يتكلم من غير حاجة وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول فيه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة اذا تكلم اطرق جلساؤه كان على رؤسهم الطير وكان احسن الهدى هديه وكان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر واما زهده في الدنيا فحسبنا منه تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بجملتها وترادفت عليه فتوحاتها بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد التوسع فيها واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها وحسبنا ما ورد انه ما شبع من خبز شعير يومين متواليين وما ترك ديناراً ولا شاة ولا بعيراً ولم يترك الا سلاحه وبغلته وارضاً جعلها صدقة وقد كان فراشه جلداً مدبوغاً وحشوه ليف وكان

ينام احياناً على سرير من خوص النخل حتى يؤثر بجنبه الشريف عليه الصلاة والسلام وكان يبات جائعاً يلتوي طول ليلتــه من الجوع فلا يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء لجمع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت احدى نسائه كنت ابكي رحمة له مما اراه وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغ من الدنيا بما يقوتك فيقول مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهــم واجزل ثوابهم فاستحي من الله ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم وما من شيء هو احب اليّ من اللحوق باخواني واخلائي واذا اردنا استيفاء جميع اخــلاقه الحميدة وعموم صفاته المجيدة احتجنا الى تطويل لا يحتمله هذا الكتاب المراعي فيه الاختصار وبما ذكرناه يظهر للعاقل المنصف المتدبر ان اختصاصه عليه السلام بتلك المحاسن وتحليتــه بهذه المكارم مع انه تربى يتيماً بين امة جاهلية تغلب عليهــم القسوة والجور وخشونة الطباع وعدم التهذيب ما كان ذلك الا بمحض عناية من الله تعالى به واقامته بمنصب رفيع ومقام جليل ومن تكون فيــه تلك الصفات الكاملة والاخلاق الفاضلة والعقل الثاقب والرأــي الصائب

ما كان ليتلبس بصفة الكذب والاحتيال ويخدع الناس بزخارف المحال ويدعي افتراء على الله تعالى انه رسوله قد اختاره واصطفاه على من سواه انا نرى العاقل منا يمنعه عقله ويأبى عليه ضميره ان يكذب كذبة واحدة على رجل مثله او دونه وتأنف نفسه الشريفة ان يقدم على ذلك ولو اضطره الحال فكيف ان من كان عقله في اعلى درجات الكمال وهو متصف باشرف الخصال يقدم بالكذب على الاله الكبير المتعال ويمارس ذلك على مر الايام والليالي معاذ الله ان يقدم على ذلك من له ادنى عقل واقل كمال ثم الغريب من احوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل احواله غريبة وهو دليل على صدقه واعانة الله تعالى له انه قلب حال الامة التي قام بينها وهي امة جاهلية مغموسة في بحار الجهالات والضلالات في العبادات والعادات فرفعها من حضيض الرذائل الى اوج الفضائل فبدل جورها بالانصاف وخشونتها باللين وجهلها بالعلم والمعرفة وعداوتها بالمحبة والالفة ومحاربتها الجورية بالسلام والامان وشقاءها بالنعيم وضلالها بالهدى الى الصراط المستقيم وعصيانها بالطاعة وفرقتها بالجماعة وضعفها بالقوة وخيانتها بالامانة وفحشها بالعفة والصيانة وقد كان عندها من حميد الشمائل الكرم ولكنه

مشوب بالتبذير والاسراف والشجاعة ولكنها مملوءة بالجور والاعتساف فعدل عليه السلام خصالها وهذب اخلاقها حتى اصبحت خير الامم واكرم العالم وسرى ذلك الى الامم الاخرى التي اعتنقت دينه المبين فاصبحوا من خيار الصالحين وكل ذلك جرى على يديه عليه السلام بواسطة شريعته التي هي منهج السعادة وبحسن سيرته وصفاء اخلاقه وكمال سياسته ولا شك ان ذلك منه كان امرًا خارقًا للعادة يعد من اعظم المعجزات عند ذوي الانصاف وقد اشتبه على بعض الاجانب عن الدين المحمدي لما رأوا ان الجهاد مشروع فيه فظنوا ان هذا الدين ما تم امره الا بالسيف والارهاب وهي شبهة باطلة علقت في فكر من لم يطلع على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واول نشأته وقيام دينه المبين واما من عرف ذلك فلا يجد لهذه الشبهة عينًا ولا اثرًا وبيان ذلك ان الذي ثبت نقله نقلاً صحيحًا في سيرته عليه السلام وبدء امره انه لما قام في دعوى الرسالة في مكة المكرمة كان وحيدًا فريدًا ليس صاحب سلطان ولا معتمدًا على عصبة عشيرة بل انه عند قيامه بتلك الدعوى بين جماهير الامم كان اول مكذب له عشيرته وعادوه اشد المعاداة وسلطوا عليه اشرارهم بالاذى والاضرار وهو التزم طريق الهداية والارشاد

فصار يقيم البراهين على صدق دعواه ويورد المواعظ ويؤلف القلوب بكل ممكن ويأمر باوامر شريعته المورثة الخير وينهي بنواهيها عن كل ما يورث الضير ومضى له على ذلك مدة تبلغ عشر سنوات وهو مقيم في مكة ولم يأمر باراقة قطرة دم لاعدائه بل يتلو قرآنه المشتمل على قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ وقوله في خطاب من اتبعه يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقوله ومن كفر فعليه كفره الى غير ذلك من الآيات وهاجر من مكة الى المدينة وهو ملتزم لهذه الطريقة مدة من اقامته في المدينة وقد اتبعه مع تلك الحال والطريقة الجم الغفير من اهل مكة واهل المدينة وطوائف العرب كما يعلم من مراجعة سيرته وقبلت شرعه العقول السليمة واستحسنته الطباع الصحيحة ولا خوف هناك ولا ترهيب لكن لما ظهر للعقول السليمة والانظار القوية ان المخالفين الذين لم يتبعوه عليه السلام لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر لديهم الارشاد بل هم فضلاً عن ضلالهم وغشهم لانفسهم بعدم قبول الدين الحق وسلوك سبيل الاستقامة لا يفترون عن اذاه عليه السلام واذى اتباعه كلما سنحت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد ويقيمون في سبيل دينهم المعاثر

ويخترعون لهم بدائع الاضرار و يعاملونهم معاملة الاشرار ووجد ان دوام المعاملة بالرفق لاولئك المخالفين يزيد طغيانهم و يشوش امر الدين على اتباعه اذن الله تعالى له عند ذلك بجهاد الاعداء والاخصام الالداء والاغرار البلداء استبدالاً للترغيب مع هؤلاء الاشرار بالترهيب ودفعاً الاذى والفساد وقطع جرثومة العناد اذ قد يسمح بالاشرار لسلامة الاخيار و يقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من البوار ولكن شرع الله ذلك الجهاد في شريعة سيدنا * محمد * عليه السلام على حدود تبقى للرفق مجالاً وللشفقة والعدل منالاً حتى لو قوبل جهاده مع الجهاد المشروع في الشرائع المتقدمة كشريعة سيدنا موسى عليه السلام لوجد ان في جهاد شريعة سيدنا * محمد * صلى الله تعالى عليه وسلم تخفيفات لم توجد في سواه يعلم ذلك من الاطلاع على شؤون الشريعتين وفيما قررناه ظهر ان تلك الشبهة التي يزعم صاحبها ان الدين المحمدي قام بالسيف هي شبهة ظاهرة البطلان مهدومة الاركان والحق الحقيق بالقبول انه ما كان اساس الهدى والسعادة لنا ولاسلافنا الا بنور شريعة سيدنا *(محمد)* صلى الله تعالى عليه وسلم وبهديه وارشاده فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ورفع درجته في اعلى عليين فعلينا معشر المسلمين مداومة

محبته وتعظيم جنابه الشريف وفداءه بالارواح ومن محبته عليه السلام تعظيم شرعه واطاعة اوامره واجتناب نواهيه كما قيل ان المحب لمن يحب مطيع واما الشخص الذي يدعي محبتـه وهو مخالف لشرعه فحاله يكون مكذباً لدعواه وشاهداً عليـه بخبث الطوية ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة اهل بيته وعترته وتعظيم حملة شريعته واكرامهم والاحسان اليهم ومن كمال محبته عليه الصلاة والسـلام معرفة نسبه الشريف من جهة ابيه ومن جهة امه حتى قال بعض العلماء بوجوب ذلك فاما نسبه من جهة ابيه فهو سيدنا *(محمد)* بن عبد الله * بن عبد المطلب* ابن هاشم * بن عبد مناف * بن قصي * بن حكيم * بن مرة * ابن كعب * بن لؤي * بن غالب * بن فهر * بن مالك * ابن النضر * بن كنانة * بن خزيمة * بن مدركة * بن الياس* ابن مضر * بن نذار * بن معد * بن عدنان * وليس فيما بعده الى آدم عليه الصلاة والسـلام نقل صحيح واما نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة امه فهو سيدنا *(محمد)* بن آمنة بنت وهب * بن عبد مناف * بن زهرة * بن حكيم * فتجتمع معه عليه السلام في جده حكيم ومن كمال محبته عليه السلام معرفة اسماء اولاده رضي الله تعالى عنهم وهم سبعة على

الصحيح سيدنا القاسم * وسيدتنا زينب * وسيدتنا رقية * وسيدتنا فاطمة * وسيدتنا أُم كلثوم * وسيدنا عبد الله وهو الملقب بالطيب الطاهر * وسيدنا ابراهيم * وكلهم من سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها الا سيدنا ابراهيم فمن مارية القبطية

ومن حسن الادب مع حضرته عليه الصلاة السلام اعتقاد نجاة ابويه اما بالاعتماد على قول من يقول بنجاة اهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام وهما من جملتهم واما بالاعتماد على ما ورد في بعض الآثار ان الله تعالى احياهما له حتى آمنا به وذلك جائز داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى

واعلم انه قد دلت النصوص الشرعية وانعقد اجماع الامة المحمدية على ان سيدنا ﴿ محمدا ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث من الله تعالى الى الناس كافة بل الى الثقلين الانس والجن لا الى العرب خاصة كما زعمه بعض الكفار وانعقد اجماع الامة ايضاً على انه خاتم الانبياء والمرسلين لا نبي بعده فشرعه عليه السلام لا ينسخ الى آخر الزمان اي لا يرفع بشرع سواه وسيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله الى الارض في آخر الزمان انما يحكم بشرع نبينا عليه السلام لا بشرع جديد وعدم

قبول سيدنا عيسى للجزية هو من جملة شرع نبينا لان قبول الجزية في الشرع المحمدي غايته الى نزول عيسى عليه السلام وقد انعقد الاجماع ايضاً على ان شرع نبينا ناسخ لسائر الشرائع المتقدمة اي ناسخ لاكثر احكامها غير العقائد منها واما العقائد كالايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهي ثابتة في سائر الشرائع وحكمة نسخ شريعة باخرى هي اختلاف المصالح بحسب الازمنة مثلاً المصلحة في زمن الامم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم والمصلحة في زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشريعة نبينا وبهذا ظهر سقوط شبهة من يقول من الكفار انه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى اذ يقال له ان الله تعالى من الازل عالم بمصلحة كل امة وزمانها فرتب قديماً لكل امة شريعة وارسل رسولاً بكل منها وجعل المتأخرة ناسخة للمتقدمة فاين الخفاء على الله تعالى وانعقد الاجماع ايضاً على ان نبينا عليه الصلاة والسلام افضل الخلق اجمعين لا يفضله احد من مخلوقات الله تعالى ثم الراجح عند العلماء ان الافضل بعد نبينا سيدنا ابراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح وهؤلاء الاربعة مع نبينا هم اولو العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل وهم متفاضلون

فيما بينهم عند الله تعالى ثم سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل من الملائكة ثم بقية رؤساء الملائكة ثم عوام البشر والمقصود منهم اولياؤهم غير الانبياء كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ثم عوام الملائكة وقد ثبت في الاحاديث النبوية ان قرنه عليه السلام اي اصحابه هم خير القرون المتقدمة والمتأخرة ما عدا الانبياء والرسل والصحابي هو من اجتمع بالرسول عليه السلام مؤمناً به ومات على ذلك وافضل اصحابه عليه السلام خلفاؤه الاربعة على ترتيب خلافتهم فأولهم في الفضل ابو بكر الصديق ثم سيدنا عمر بن الخطاب ثم سيدنا عثمان بن عفان ثم سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وافضل القرون بعد قرنه عليه السلام قرن التابعين وهم الذين اجتمعوا بالصحابة اجتماعاً متعارفاً ثم قرن اتباع التابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومما انعقد عليه اجماع الامة ان النبوة خصيصة من الله تعالى لا تكون مكتسبة للعبد ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء امر بتبليغه ام لا وكذلك الرسالة لكن بشرط ان يؤمر بالتبليغ واما الولاية فالاظهر عند العلماء فيها التفصيل فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ومنها ما هو غير مكتسب

وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك
ولنختم مبحث المعجزات ببيان بقية خوارق العادات فنقول
قد علمت ان الامر الخارق للعادة اذا ظهر على يد مدعي الرسالة من
عند الله تعالى او النبوة يسمى معجزة فاما اذا ظهر للرسول
قبل دعواه النبوة او الرسالة كما ورد ان سيدنا ﴿ محمداً ﴾
صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تظلله الغمامة قبل ارسال الله
تعالى له وادعائه الرسالة فيسمى هذا ارهاصاً اي تأسيساً للرسالة
واما اذا ظهر الامر الخارق للعادة على يد ظاهر الصلاح والعدالة .
وليس عنده دعوى النبوة والرسالة فيسمى كرامة ونحن معشر
المسلمين من اهل السنة والجماعة نؤمن بكرامات الاولياء لورود
النصوص الشرعية بذلك ونقل الاخبار الكثيرة بوقوع خوارق
العادات للكثير من الصالحين اكرمهم الله تعالى بها لاجل ان
يحترموا بين الناس او ليقبل ارشادهم وموعظتهم اذا اقامهم الله
تعالى في مقام الارشاد او لتفريج كروبهم وقضاء مصالحهم اذا
احتاجوا الى ذلك وكل ذلك فضل من الله تعالى عليهم ولا يجب
عليه تعالى شيء من ذلك والاولياء جمع ولي وهو العارف بالله
تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب
للمعاصي (يعني انه اذا ارتكب معصية بادر الى التوبة وليس المراد

انه لا تقع منه معصية اذ ليس هو معصوماً)المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة واما اصل التناول للذات المباحة فلا مانع منه لا سيما اذا كان بقصد التقوي على طاعة الله تعالى واما اذا ظهر الامر الخارق للعادة على يد مستور الحال لا ظاهر الصلاح ولا ظاهر الفسق فيسمى معونة اي اعانة من جانب الله تعالى واما اذا ظهر على يد ظاهر الفسق فيسمى استدراجاً بمعنى ان الله استدرجه باظهار ذلك على يده فيتمادى بفسقه ثم اذا اخذه الله تعالى لم يفلته والعياذ بالله تعالى وهذه الاقسام الخمسة من خوارق العادة تكون على وفق مقصد من تظهر على يديه وبقي قسم آخر وهو ان يقع الامر الخارق للعادة للمرء على خلاف ما يطلبه كما روى ان مسيلمة الكذاب الذي ادعى الرسالة في زمن نبينا عليه السلام قد بصق في عين رجل للشفى فعميت الاخرى ويسمى هذا القسم من خوارق العادة خذلاناً اي تكذيباً وخزياً من الله تعالى لذلك الكاذب ولا اشتباه بين هذه الاقسام وبين المعجزة لان المعجزة مقرونة بدعوى الرسالة او النبوة كما تقدم موافقة لمقصد من تظهر على يديه وغيرها ليس كذلك كما انه لا اشتباه بين الكرامة التي تظهر على يد ظاهر الصلاح غير مدعي الرسالة او النبوة موافقة لمطلبه وبين بقية الاقسام والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بيان الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام »
« والايمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى »
« على رسله والقضاء والقدر »

اعلم انه يجب على كل مكلف شرعاً الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وهو ان يعتقد اعتقاداً جازماً بوجودهم وانهم عباد الله المؤمنون به المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون وقدوردت النصوص الشرعية بجميع ذلك وحقيقتهم عند اكثر المسلمين انهم اجسام لطيفة اعطاهم الله تعالى القدرة على التشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات وقد وردت النصوص الشرعية بما يفيد انهم اقسام فمنهم حملة العرش ومنهم الحافون حول العرش ومنهم اكابر الملائكة كجبريل وميكائيل واسرافيل ومنهم ملائكة الجنة ومنهم ملائكة النار ومنهم الموكلون ببني آدم ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم بالتدبير ومنهم رسل الله الى انبيائه بالوحي ودلت النصوص ايضاً على انهم قادرون على الاعمال الشاقة العظيمة التي يعجز عنها الوف البشر

بل جميع البشر الى غير ذلك مما ورد في حقهم في القرآن والاحاديث وقد اتفق ائمة المسلمين كما يؤخذ من الشفاء الشريف على عصمة المرسلين منهم بالوحي الى انبياء البشر كاعصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن اختلف العلماء في عصمة غير المرسلين من الملائكة وقال الفخر الرازي والجمهور الاعظم من علماء الدين على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب وقد تمسك المخالفون في عصمتهم بامور منها ان ابليس كان من الملائكة فعصى الله تعالى وكفر ونحن نقول ان ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة كما حققه الامام الرازي وغيره من العلماء ومنها قصة هاروت وماروت ونحن نقول اما الآية التي وردت فيهما وهي قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) فالذي تلخص من كلام الامام الرازي في تفسيره ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابًا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة و يجعلون تلك الاعمال السحرية معجزاتهم فبعث الله تعالى هذين الملكين لاجل ان يعلما الناس

ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك السحرة الذين يدعون النبوة كذباً ولا شك ان هذا من احسن المقاصد فهذان الملكان كانا لا يعلمان احداً السحر حتى يبذلا النصيحة فيقولا له انما نحن فتنة اي محنة يتميز بها المطيع من العاصي فهذا الذي نصفه لك من السحر وان كان القصد منه ان يظهر به الفرق بين السحر و بين المعجزة ولكنه يمكنك ان تتوصل به الى المفاسد والمعاصي فاياك بعد وقوفك عليه ان تستعمله فيما نهيت عنه او تتوصل به الى شيء من الاغراض العاجلة ثم ان القوم تعلموا منهما السحر واستعملوه في الشر وايقاع الفرقة بين المرء وزوجه ثم قال الرازي واتفق المحققون على ان العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور يعني وانما المحظور العمل به وتقرير الآية بهذا الوجه لا اشكال فيه ولا يدل على معصية الملكين المذكورين كما هو ظاهر بل يكونان قد امتثلا امر الله تعالى في التعليم كما لا اشكال في انه كيف ينزل الله تعالى عليهما السحر المنهي عنه لان المحرم هو العمل به لا تعلمه لاجل مقصد حسن واما ما روى من ان هذين الملكين قد مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فنقول ان هذه القصة قد اختلف

العلماء في صحة نقلها فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لانه ليس في كتاب الله تعالى ما يدل على ذلك بل فيها ما يبطلها من وجوه ثم بين تلك الوجوه وقال الامام البيضاوي عن هذه الرواية انها محكي عن اليهود وقال ابو السعود في تفسيره انها مما لا يعول عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل وقال القاضي عياض في الشفاء الشريف ان هذه الاخبار يعني المذكورة في قصة هاروت وماروت لم يروَ منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس واذا علمت ذلك فنحن يسوغ لنا الاخذ بقول هؤلاء الائمة الاعلام والاعتماد على ما رجحوه في عدم صحة هذه الرواية ولا يجب علينا اعتقاد هذه القصة في هذين الملكين وعلى فرض صحة روايتها كما قال به بعضهم فنقول لعلها من باب ضرب الامثال والرموز كما ذكر احتمال ذلك البيضاوي وابو السعود وبين شيخي زاده والسيالكوتي في حاشيتهما على البيضاوي كيفية ذلك التمثيل او لعل الرواية في هذه القصة هي حكاية لما قاله اليهود وزعموه من جملة اقاصيصهم فبطلانه في نفسه لا ينافي صحة الرواية التي حكته لنا عنهم وعلى هذا حمل السيالكوتي

قول البيضاوي محكي عن اليهود وعلى كل فلا تعارض هذه القصة عصمة جميع الملائكة والله تعالى اعلم

ومما وردت به النصوص الشرعية ويجب الايمان به ان على كل عبد حفظة من الملائكة وكاتبين يكتبون اعمال العبد من حسنات وسيئات وهذه الكتابة يكفر منكرها لتكذيبه القرآن قال تعالى كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون لكنها ليست لحاجة دعت اليها لاحاطة علم الله تعالى بكل شيء وانما فائدتها ان العبد اذا علم بها استحى وترك المعاصي والكتب حقيقي بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالى حملاً للنصوص على ظواهرها مع عدم الاستحالة في ذلك والله اعلم ومما وردت به النصوص الشرعية ايضاً وجود ملك يقبض الارواح اي يخرجها من مقرها فيجب الايمان بذلك وورد ان اسمه عزرائيل وان له اعواناً بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه بصورة حسنة بخلاف غيره وسنذكر في الباب الثالث ان شاء الله تعالى الشبه الواردة في شأن الملائكة فانظره هناك ويجب على كل مكلف شرعاً الايمان بالكتب المنزلة من الله تعالى على الرسل عليهم الصلاة والسلام فنؤمن بان لله تعالى كتباً انزلها على رسله وبين فيها امره ونهيه ووعده ووعيده وافضل الكتب المنزلة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل ثم الزبور

وكلها كلام الله تعالى واعلم ان كلام الله يطلق على معنيين المعنى الاول هو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التي ليست بحرف ولا صوت كما قدمناه في بحث صفاته تعالى والمعنى الثاني هو الكلام اللفظي المنزل على الرسل ومعنى انه كلام الله تعالى انه بمجرد وليس لاحد في اصل تركيبه كسب وهو يدل على بعض ما تدل عليه صفة الكلام القديمة لانها تدل على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات كما مر في بحث الصفات وهذه الالفاظ المنزلة على الرسل تدل على بعض ما تدل عليه تلك الصفة القديمة فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الصفة القديمة طلب اقامة الصلاة مثلاً لفهم ذلك من قوله تعالى في القرآن اقيموا الصلاة وعلى المعنى الثاني يحمل قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ما بين دفتي المصحف كلام الله ومن انكر ان ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر الا ان يريد انه ليس الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثاً ومخلوقاً لا يجوز ان يقال كلام الله او القرآن حادث او مخلوق الا في مقام التعليم لانه لاطلاقه بالمعنى الاول على الصفة القديمة ربما يتوهم ان هذه الصفة حادثة او مخلوقة ولذلك ضرب الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وحبس

على ان يقول بخلق القرآن فلم يقل ثم اعلم ان جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها و بعض احكامها والله تعالى اعلم

وما يجب شرعاً على كل مكلف الايمان بالقضاء والقدر كما وردت النصوص الشرعية بهما وكما امرنا بالايمان بهما فقد نهينا عن الخوض في مباحثهما ولكن لما كان الايمان بهما لا بد فيه من تفسير معناهما نقول ان المنقول عن الماتريدية في تفسيرهما ان القدر هو تحديد الله تعالى ازلا كل مخلوق بحده. الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر الى غير ذلك اي علمه تعالى ازلا صفات المخلوقات فيرجع الى صفة العلم وان القضاء ايجاد الله تعالى الاشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها في الازل فقد تبين ان القدر والقضاء راجعان الى تعلق العلم الآلهي الازلي بالاشياء وتعلق القدرة الآلهية بها وهذا قد مرّ بيانه عند بيان ما يتعلق من صفات الله تعالى بالاشياء وما لا يتعلق ولكن لما كان خطر الجهل في فن التوحيد عظيماً صرح العلماء بوجوب الايمان بالقضاء والقدر ولا سيما انه قد صرح بالايمان بهما في صحيح الاحاديث ثم اعلم انه وان وجب الايمان بالقدر لكن لا يجوز الاحتجاج به لا قبل الوقوع توصلاً الى الوقوع بان يقول الشخص قدّر الله تعالى عليّ الزنا مثلاً وغرضه بذلك

التوصل الى الوقوع في الزنا وللشرع الحجة عليه في ذلك اذ يقال له من جانب الشرع وما ادراك انه قدر عليك من الازل ذلك حتى تقدم عليه فاقدامك على الذنب ليس الا لهوى نفسك وباختيارك وبذلك تؤاخذ عليه ولا بعد الوقوع تخلصاً من الحد الشرعي ونحوه بان وقع شخص في الزنا مثلاً وقال قدر الله تعالى عليّ ذلك وغرضه التخلص من الحد وللشرع الحجة عليه ايضاً اذ يقال له انك اقدمت على الذنب ولا علم لك بتقديره عليك ازلا فاقدامك عليه ما كان الا لهوى نفسك وجراءتك على الله تعالى وبذلك تؤاخذ ويجب عليك الحد والله تعالى اعلم

❋ الفصل الخامس ❋

« في الايمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه وبالبعث وما يتقدم »
« ذلك من احوال الموت والقبر وما يتبع ذلك »
« ورد الشبه التي ترد في هذا المقام »

اعلم انه مما يجب على كل مكلف شرعاً الايمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة واوله من وقت الحشر وينتهي بدخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار والواجب الايمان به وبما يشتمل عليه كما

يجب الايمان بما يتقدمه من العلامات التي ثبتت بالنصوص الشرعية وبما يتقدمه ايضاً من قبض الروح واحوال القبر وامثال ذلك مما ثبت في النصوص الشرعية الصحيحة وتفصيل جميع ذلك فيما سيتلى عليك فنقول قد وردت الآيات والاحاديث الصحيحة واتفق اهل السنة والجماعة ان لكل انسان روحاً جرت عادة الله تعالى انها اذا كانت في جسده كان حياً واذا فارقته حله الموت وان عمر كل انسان مقدر بتخصيص الله تعالى لا يزيد ولا ينقص حتى المقتول فانه ميت باجله فاذا انقضى اجل الانسان قبض روحه الملك الموكل بقبض الارواح وهو ملك من اكابر الملائكة يسمى بعزرائيل فهو يقبض الروح اي يخرجها من مقرها ثم بعد وضع الانسان في قبره يعيد الله تعالى اليه الروح ويرد اليه من الحواس والعقل ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب ثم يأتيه في تلك الحالة ملكان ويسألانه عن معتقده والحكمة في هذا السؤال ان يظهر لدى الملائكة المؤمن والمطيع وغيرهما ويترتب على ذلك اما تنعم الميت في قبره واما عذابه ويستثنى من هذا السؤال من وردت الاحاديث باستثنائه كالانبياء وغيرهم كما هو مبسوط في كتب الاحاديث ثم ان الميت اما ان يتنعم في قبره ان كان مؤمناً

مطيعاً واما ان يعذب والمعذب اما ان يدوم عذابه الى يوم القيامة واما ان ينقطع كما في بعض عصاة المؤمنين ومن احوال القبر ضغطته وهي التقاء حافتيه على الميت ولا ينجو منها احد الا من استثني في الاحاديث كالانبياء ثم اذا تصرم الزمان وقرب يوم القيامة ظهرت له علامات منها العلامات الصغرى التي ظهر منها في هذا الزمان الكثير ومنها العلامات الكبرى وهي عشر ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول سيدنا عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة التي تكلم الناس وطلوع الشمس من مغربها وظهور الدخان ويمكث في الارض اربعين يوماً يصيب الكافر حتى يصير كالسكران و يصيب المؤمن منه كهيئة الزكام وخراب الكعبة على يد الحبشة بعد موت عيسى عليه السلام ورفع القرآن من المصاحف والصدور ورجوع اهل الارض كلهم كفاراً ثم ينفخ في الصور النفخة الاولى فيموت اهل الارض والسموات والصور هو شيء كالقرن كبير جداً ينفخ فيه سيدنا اسرافيل احد كبراء الملائكة ثم بعد مضي زمان طويل والخلائق موتى ينفخ في الصور مرة اخرى فيبعث الله تعالى الموتى من قبورهم ويحشرهم الى الموقف وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء واجراء حسابهم ومن اهوال الموقف طول

الوقوف فيه ودنوّ الشمس من رؤوس الخلائق حتى تكون على قدر الميل وخوضهم في العرق الذي هو انتن من الجيفة ويكون خوضهم فيه على قدر اعمالهم حتى ان بعضهم يلجمه العرق الجاماً وسؤال الملائكة لهم عن اعمالهم وتفريطهم فيها وشهادة اعضائهم وجلودهم والارض والحفظة الكرام عليهم ولا يصيب شيء من تلك الاهوال الانبياء والاولياء وسائر الصلحاء ثم بعد اشتداد هول الموقف يشفع سيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى وهي شفاعته في فصل القضاء بين جميع الخلائق عند ما يشتد الهول عليهم ويطول وقوفهم فيستشفعون به فيشفع لهم عند ربه في ذلك وبعد ذلك له شفاعات كثيرة منها شفاعته في ادخال قوم الجنة بغير حساب ومنها شفاعته في عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ومنها في اخراج العصاة الموحدين من النار ومنها في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها ومنها غير ذلك كما جاء في الاحاديث الشريفة ويشفع غيره عليه السلام من الانبياء والرسل والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والاولياء ويأخذ العباد صحفهم وهي كتبهم التي كتبت فيها الملائكة ما فعلوه في الدنيا وتوزن افعال العباد بميزان وجمهور المفسرين على ان الموزون هي الكتب التي اشتملت

على اعمال العباد بناءً على ان الحسنات مميزة بكتاب والسيئات باخر ويجب علينا الايمان بالوزن والميزان وتفويض علم حقيقة ذلك الى الله تعالى ومحاسب الخلائق اي يوقف الله تعالى الخلائق على اعمالهم خيراً كانت او شراً قولاً كانت او فعلاً تفصيلاً بعد اخذهم كتبها ويكون الحساب للمؤمنين والكافرين ويستثنى من ذلك من وردت الاحاديث باستثنائه ثم يمر الخلائق على الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الاولون والآخرون وهو طريق الناس الى الجنة فالمؤمنون الطائعون والذين غفرت سيئاتهم يمرون عليه ويخلصون الى الجنة والكفار وبعض عصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب في جهنم مدة يسقطون في نار جهنم في حال مرورهم على الصراط ومرور الناجين مختلف في السرعة والبطء حسب مقاماتهم والحكمة في المرور على الصراط ظهور النجاة من النار وان يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور ومما اشتمل عليه يوم القيامة وجود حوض عظيم لسيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم يرده المؤمنون ويشربون منه عند العطش الاكبر ثم ان الله تعالى خلق دارين عظيمتين احداهما دار النعيم وهي الجنة وفيها من النعيم الذي اعده الله تعالى لعباده المؤمنين ما لا عين رأت

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وثانيتهما دار العذاب وهي جهنم اعد الله تعالى فيها من العذاب للكفار والعصاة ما ترجف عند ذكره القلوب وتقشعر الجلود اعاذنا الله تعالى منها وهاتان الداران مخلوقتان وموجودتان كما دلت على ذلك الآيات والاحاديث وبعد انقضاء حساب الخلائق ومرورهم على الصراط يدخل الجنة المؤمنون الطائعون من جميع الامم وعصاة المؤمنين الذين غفرت سيئاتهم او ادركتهم شفاعة ويدخل جهنم الكفار وعصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب مدة اما الكفار فلا يخرجون منها ابداً واما العصاة المؤمنون فمآلهم الخروج منها ودخول الجنة بعد انقضاء مدة عذابهم اونوالهم شفاعة ثم يدوم اهل الجنة خالدين في الجنة واهل النار الكفار خالدين في النار ابد الآبدين ودهر الداهرين وكل ما مر فقد ثبت بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة وهو مذهب اهل السنة والجماعة ويجب الايمان به على كل مكلف شرعاً والله تعالى اعلم

« توضيحات يندفع بها بعض الشبه الواردة »

« على ما مر في هذا المقام »

اعلم انه قد ترد بعض الشبه على بعض ما ذكره هنا في هذا المقام ولكن هي عند من يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته

وواسع علمه و يعتقد بان الله تعالى هو الذي اوجد هذه الاكوان من العدم وصورها على صور تشتمل على دقائق الحكم لا يصعب عليه الايمان بجميع ما مر ولا رد تلك الشبه عن عقيدته بقاطع البرهان وواضح التبيان واما من لم يكن مؤمناً بوجود ذلك الاله العظيم فالصواب في حقه اولاً ان نقام له الادلة على وجوده تعالى ثم بعد ذلك تكشف شبهته في امثال هذه العقائد وتوضيح رد تلك الشبه ان يقال ان الذي ثبت في النصوص الشرعية ان للانسان روحاً تتعلق بجسده و يتسبب عنها حياته واذا فارقته بقبض الملك لها حله الموت فبعض علماء الاسلام خاض في البحث عن حقيقة هذه الروح ولكن لم يقم معه برهان قاطع شرعي او عقلي على بيان حقيقتها و بعضهم وهم اهل الطريق الاسلم ترك الخوض في هذا البحث اذ لم يرد عن الشارع دليل على حقيقتها بل قد ورد في الشرع ما يشير الى ان ترك البحث عن حقيقتها هو الاولى وعلى طريقة هؤلاء العلماء يكفي في تصديق النصوص الشرعية الواردة في وجود الروح ان يعتقد المكلف ان لكل انسان روحاً وهي شيء موجود الله اعلم بحقيقته وليس بالقول بوجوده ما يخالف العقل وعدم الاحساس به كما يقوله بعض الجهلة بانا لا نرى شيئاً يخرج من فم الميت عند موته لا يقتضي عدمه

اذ ربما يكون عدم الاحساس به للطافته كالهواء او كالاثير الذي يقول به الطبيعيون المتأخرون او لدقته جداً كالحيوانات الصغيرة جداً التي توجد في المياه وكثير منها لا يرى حتى بالمجسمات للمرئ او لغير ذلك وكونه بتلك اللطافة او الصغر وتنشأ عنه الحياة لا غرابة فيه فكم من عقار او نبات لطيف او صغير جداً تنشأ عنه حوادث عظيمة لاتحدها العقول وكذلك شرارة النار اذا لامست كمية كثيرة من الاجسام القابلة للالتهاب وكما في الجزء الصغير من السم اذا دخل الجسد وما يحدث عنه وامثال ذلك كثير مما هو لطيف او صغير تنشأ عنه حوادث عظيمة فلا غرابة في تسبب الحياة في الجسد عن الروح وان كانت امراً لطيفاً او صغيراً جداً لا سيما ان الحياة لا تنشأ عن الروح بطبيعتها بل بخلق الله تعالى والروح انما هي سبب عادي فلا اشكال في ذلك اصلاً ثم وان تكن الروح بتلك اللطافة او الصغر فلا مانع ان يجعل الله تعالى للملك قدرة على قبضها واخراجها من الجسد الا ترى المغناطيس قد جعل الله تعالى فيه خاصية جذب الحديد فيجذب الطف وادق برادة منه ولو لم تر بالعين ولا بمجسمات المرئ وكل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا شيء يوجب الاشتباه ثم لما وردت نصوص الشريعة بوجوب

اعتقاد البعث اي ان الله تعالى يعيد الاموات يوم القيامة ويحييهم كان المشركون في عصر الرسول عليه السلام يوردون الشبه على القول بالبعث ويقولون كيف يحيي الله تعالى الاموات بعد مفارقتهم الحياة وفنائهم وتفرق اجزائهم بين اجزاء الارض فكان القرآن الشريف يرد عليهم تلك الشبه في آيات كثيرة بما معناه ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم لا يعجزه شيء مهما كان عظيماً ولا يخفى على علمه شيء مهما كان دقيقاً خفياً والذي اوجد الكائنات من العدم بذلك الاتقان والاحكام هو قادر على اعادة الاموات بعد الفناء واحيائهم للحساب والجزاء ويضرب لهم سبحانه الامثال التي تقرب ذلك لعقولهم بان الله تعالى يحيي الارض بعد موتها بانزال المطر عليها فتصبح مخضرة مزهرة بهجة بعد ان كانت قاحلة يابسة لا ترى فيها اثراً للحياة الى غير ذلك من الامثال التي ترفع عنهم شبه البعث التي قامت عندهم ثم ان علماء الشريعة الاعلام لما وجدوا للفلاسفة المنكرين للبعث شبهاً اخرى يزعمون فيها حصوله محالات عقلية على القول بالبعث قال اولئك العلماء رحمهم الله تعالى ان الواجب شرعاً على كل مكلف ان يعتقد بحصول البعث والاعادة وان ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالاً عقلياً والله اعلم بكيفية ذلك ولا يلزمنا

لصحة الايمان بالبعث ان نبين الكيفية التي يجريها الله تعالى في امر البعث بل نفوض علمها اليه تعالى ولكن للمحافظة على افكار الضعفاء في الدين من الاضطراب نقول في توضيح ذلك من الممكن ان المعاد من الجسم بالبعث هو جميع اجزاءه الاصلية اي الباقية من اول العمر الى آخره لا الاجزاء الفضيلة التي تتكون في الجسم من الاغذية ثم تتحلل ويخلفها غيرها وهلم جرّا و اذا كان الامر كذلك فما المانع من الله تعالى العظيم القدرة الواسع العلم يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها في اجزاء اصلية لحيوان آخر بأكل انساناً وان دخلت في تركيب الاجزء الفضلية لذلك الحيوان فتنفصل عنها عند انحلالها بموت ذلك الحيوان ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بتلك الاجزاء الاصلية للانسان و يضم اليها اجزاء فضلية يكمل بها مقدار الانسان وهيكله كما كان قبل الموت سواء كانت تلك الاجزاء عين ما كانت قبل موت الانسان او غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم والتعذيب انما هو لمجموع الروح ولهذه الاجزاء الاصلية و يصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد اعيد تعلق الروح بالاجزاء الاصلية التي هي حقيقة الانسان بعد ان فارقتها واعيد

لهذه الاجزاء الاصلية الحياة واعيدت اليها اجزاء فضلية كمل
بها هيكل الانسان الذي كان قبل الموت واذا كان الحال كذلك
فلا يقال من شبه اولئك الفلاسفة ان الانسان المنعم او المعذب
هو غير الذي كان قبل الموت ولا يقال ان الروحين تتعلقان
بجسد واحد فيما اذا اكل انسان انسانًا وصارا بالاغتذاء واحدًا
ولا يقال ان مادة واحدة حاصلة لاناس كثيرين حيث ان
المشاهد على ظاهر الارض اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع
في الارض زروع كثيرة وغرس فيها اشجار واغتذى منها
الناس وانعقد ذلك في ابدانهم لحمًا ودمًا لانا مع جميع ذلك
نقول ان الاجزاء الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل
الموت انسانًا هي بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث ذلك
الانسان بعينه وقدرة الله تعالى وعلمه يصلحان لاجراء هذه
الكيفية التي لا تتضمن محالاً اصلاً وعدم احساسنا بها لا يستلزم
عدمها اذ يحتمل اننا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد
الاجزاء الاصلية التي هي حقيقة الانسان اما لدقتها واما للطافتها
واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل في حيز الخفاء محجوبة عن
حواسنا ولا مانع ان تكون هذه من هذا القبيل والملخص ان
نصوص الشريعة نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك

ونعتقد انه سيكون على وجه لا يستلزم محالاً ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التي قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الشبه كما لا يخفى على المتأمل المنصف وان كنا غير مكلفين باعتقاد هذا التفصيل الذي شرحناه بل الذي نكلف به الايمان بالبعث على وجه لا يستلزم محالاً كما تقدم ثم نقول وفي القول بالاجزاء الاصلية التي مر شرحها تندفع الشبه عن نعيم القبر وعذابه اللذين وردت بهما النصوص الشرعية اذ يقال ما المانع ان الله تعالى يجعل للروح تعلقاً خاصاً بتلك الاجزاء الاصلية بحيث تحس بالنعيم او العذاب وهي في القبر ونحن وان كنا نشاهد الجسد قد تفرق وتلاشى ولا حياة فيه فتلك الاجزاء الاصلية يجري فيها التنعيم والتعذيب ولا نرى شيئاً من ذلك لخفائها عن ابصارنا لدقتها او للطافتها وكذلك تندفع الشبه الواردة على ما جاء من نصوص الشريعة ان بعض الناس هم احياء عند ربهم يرزقون كالشهداء فانه يقال ايضاً لا مانع ان الله تعالى يجعل لارواحهم تعلقاً خاصاً باجزائهم الاصلية بحيث تكون حية حياة تقبل الرزق والتنعيم بنوع مخصوص هو الذي أخبرت عنه النصوص وان كنا لا نرى ذلك وكل ذلك من

الجائزات العقلية التي لا تستلزم محالاً وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ومن اطلع على ما يقوله المتأخرون من الطبيعيين في احوال الحيوانات الصغيرة التي لا ترى الا باكبر المجسمات للمرئي من ان لها ادراكاً واحساساً وسعياً على معاشها واحتراساً على حياتها ومقاتلة لبعضها البعض واحتيالاً على تحصيل رزقها وغير ذلك لم يستبعد ما قررناه في حق الاجزاء الاصلية للانسان وقبولها لتعلق ارواحها بها واحساسها بما يريده الله تعالى لهـا من نعيم او عـذاب من غير ان نشعر نحن بشيء من ذلك والله على كل شيء قدير

ثم ما ورد من اعضاء الخلق وجلودهم والارض تشهد عليهم هو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى كما تقدم توضيح نظيره في بيان معجزات الرسل من ان منها نطق الجمادات فحيث ان الله تعالى هو الخالق لصفة الكلام في الانسان ولا يتوقف خلقه لها على حياة ولا غيرها كما اقيم على ذلك البرهان فلا مانع انه تعالى يخلق في تلك الاشياء الكلام وتشهد على العصاة باعمالهم وحكمة ذلك تخويف العباد من ارتكاب المعاصي عند ما تخبرهم الرسل ان اعضاءهم وجلودهم والارض التي يعصون عليها تشهد عليهم يوم القيامة وايضاً اظهار عظمة قدرة

الله تعالى في ذلك اليوم وظهور بالغ حجته على العباد ولله الحجة البالغة ثم ان الصراط الذي يمد على متن جهنم لمرور الناس عليه كما تقدم شرحه ليس فيه شيء يستبعده العقل لكن في بعض روايات وردت في وصفه ليس من الروايات المتواترة وان اشتهرت ان الصراط يكون ادق من الشعرة واحد من السيف وهذه الكيفية قد يستبعدها بعض الضعفاء وان كانت من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة القادر العظيم ومع ذلك فقد نازع في صحة ذلك بعض العلماء الاعلام كالعز بن عبد السلام والشيخ القرافي والبدر الزركشي كما نقله الباجوري على الجوهرة قالوا وعلى فرض صحة تلك الرواية فهو محمول على غير ظاهره بان يؤول بانه كناية عن شدة المشقة زاد القرافي ان الصحيح ان الصراط عريض وله طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وعلى هذا التقرير فلا اشكال يبقى هنا حتى على افكار الضعفاء ويكفي المكلف الايمان بوجود الصراط ولو على هذه الكيفية والله تعالى اعلم

ثم مما تقدم في العلامات الكبرى ليوم القيامة طلوع الشمس من مغربها والذي ورد في ذلك الحديث الشريف انها تطلع من مغربها حتى تتوسط السماء ثم تعود فتغرب في جهة المغرب

وتستمر بعد ذلك على عادتها الاصلية وهذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فمن يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته لا يصعب عليه الايمان بذلك وقد مر توضيح جواز هذا الامر في نظيره من وقوف الشمس ورجوعها معجزة لسيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم ولسيدنا يوشع عليه السلام عند بيان معجزات الرسل وقررنا ذلك هناك باوضح بيان فارجع اليه ان شئت في فصل المعجزات والله تعالى اعلم

ثم مما تقدم ايضاً من تلك العلامات خروج يأجوج ومأجوج وهما امتان عظيمتان قد جاء ذكرهما في القرآن الشريف وان ذا القرنين سدّ عليهما طريق خروجهما من ارضهما بالسد الذي اصطنعه وان ذا القرنين قال ما معناه ان هـذا السدّ اذا جاء وعد ربي جعله دكا اي منهدماً وفسر المفسرون مجيء وعد الله بمجيء يوم القيامة اي قربه وقد جاءت احاديث صحيحة بتفصيل خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان وان ذلك من علامات القيامة الكبرى فوجب على كل مكلف الايمان بذلك وما يقال من ان علماء الجغرافيا قد ساحوا الارض ولم يعثروا على محل يأجوج ومأجوج فهو كلام لا يمنع صدق تلك النصوص الشرعية الواردة بوجودهم في الارض وبيان ذلك انا نقول اولاً لا نسلم

ان الجغرافيين ساحوا جميع بقاع الارض ولم يدعوا بقعة منها الا وردوها وانما ساحوا البقاع المسكونة او القريبة منها وكم من بقاع كثيرة واودية وجبال توجد في اطراف الارض لم تطؤها اقدامهم لا سيما في الاطراف الشمالية خلف جبال الجليد ونهاية المنطقة المتجمدة الشمالية كما يعلم ذلك من الاطلاع على شروحهم المسطورة في كتبهم ولعل هاتين الامتين توجدان في بعض بقاع الاطراف التي لم يصل اليها احد من اهل الجغرافيا وثانياً قد قال علامة المفسرين الامام الرازي رحمه الله تعالى ان الاظهر ان موضع السد هو في ناحية الشمال ولا يخفى على العارف بتخطيط الارض ان جهات الشمال بعد سيبريا توجد جبال جليدية لا تنقطع عنها الثلوج في جميع الفصول ولا يمكن لاحد في هذه العصور سلوكها ومن المعلوم ايضاً انه يوجد بعدها مسافة من الارض ممتدة الى انتهاء الارض وحينئذ نقول ما المانع انه يوجد خلف تلك الجبال اراض منخفضة عنها بحيث يتسبب عن انخفاضها خفة الثلوج عنها بحيث تصلح لسكنى البشر وان يكون يأجوج ومأجوج ساكنين في تلك الاراضي المنخفضة ومن الجائز ان يكون في زمان ذي القرنين الذي مضى عليه الى هذا الزمان الوف من السنين يوجد واد منخفض موصل لتلك

الاراضي وطريق لهـا وكانوا يخرجون منه للامم المجاورين لهم خارج تلك الجبال ويقاتلونهم فسدّ عليهم ذو القرنين مسلك ذلك الوادي وحصرهم خلف تلك الجبال وصاروا غير قادرين على الخروج من الوادي لوجود السدّ ولا يمكنهم تسلق الجبال لوجود الثلوج عليها ثم بعد ذلك حدثت حوادث جوية وتتابع نزول الثلوج حتى سدت ذلك الوادي وملأته حتى ساوته بالجبال التي حوله وخفي اثره ثم عند قرب يوم القيامة يذوب الثلج منه باسباب جوية او ارضية كالزلزلة ويتيسر للامتين المذكورتين هـدم السدّ والخروج من ذلك الوادي طبق ما جاءت به النصوص الشرعية ووجود الحوادث الجوية التي توجب تراكم الثلوج في بعض الاماكن ميئات من السنين ثم زوالها لحوادث اخرى غـير مستحيل لا عقلاً ولا عادة بل اذا فتشنا التاريخ نجد لذلك شواهد ظاهرة كثيرة على وجه الارض وقدرة الله تعالى صالحة لاجراء تلك الاعمال كلها واتمام ذلك التدبير وحيث كان ذلك جائزاً داخـلا تحت تصرف القدرة الآلهية وقد وردت النصوص بخروج هاتين الامتين في آخر الزمان فنحن نؤمن بذلك ونصدقه وبما قررناه ارتفعت الشبهة التي مستندها سياحة الجغرافيين هذا واما ما يذكر في بعض الكتب ان محل

يأجوج ومأجوج في المحل الفلاني من الاقاليم القريبة المعمورة وان الملك الفلاني الاموي او العباسي ارسل الى السد من نظره الى غير ذلك من الاخبار فهي من تأليفات القصاص لا أصل لها يعتمد عليه وان اغتر بنقلها بعض المؤلفين والله تعالى اعلم

ثم مما ذكر في تلك العلامات ليوم القيامة نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء وهو امر جائز عقلاً كما ان صعوده الى السماء عند ما طلبتـه اليهود لتقتله هو امر جائز ايضاً ولا يترتب على ذلك ادنى محال فما المانع ان الله تعالى يصعده وينزله بواسطة الملائكة الذين اعطاهم الله تعالى القدرة على الصعود والهبوط بين السماء والارض كما يأتي بيان ذلك ويحفظ الله تعالى حياته من جميع ما يتوهمه المتوهمون في حق من يصعد الى فوق كرة الهواء فان احتياج الانسان لتنفس الهواء ما هو الا امر عادي والله تعالى قادر على حفظ الحياة بدونه وكذلك من تلك العلامات خروج الدابة التي تكلم الناس هو امر جائز والله تعالى قادر على اعطاء الدابة صفة الكلام وكذلك وجود الدخان في الارض اربعين يوماً كل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الآلهية لا شيء من ذلك يستلزم محالاً فنؤمن بجميع ذلك ونصدق به ولله تعالى حكم في جميع

ما تقدم من احوال البعث والسؤال والميزان والصراط وغير ذلك تجد كثيراً منها مذكوراً في مطاوي كلام علماء الاسلام والله يتولى هدانا اجمعين

ولنختم هذا الباب بذكر ادلة عقلية على حصول البعث والجزاء وهي وان لم تكن برهانية قاطعة فهي اقناعية تذعن عندها العقول وتطمئن لها القلوب وبتواردها بمجموعها على الفكر يجزم العقل بوقوع البعث والجزاء ولا يعير للشك اذناً صاغية اعلم ان البعث والجزاء وان كان المشهور ان دليل جوازهما عقلي كما علمته مما مر ودليل حصولهما بالفعل شرعي وهو النصوص الشرعية الواردة في القرآن الشريف والحديث المنيف لكن اذا دقق النظر وجد ان حصولهما دلائل عقلية اقناعية تطمئن لها القلوب كما قلنا فاستمع ما يتلى عليك من كلام العلماء الاعلام في ذلك فنقول انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود آله العالم واتصافه بصفات الكمال من الحكمة والعدل والرحمة لخلقه لا شك ان كل معتقد لذلك يظهر له ان من حكمته تعالى وعدله بعد ان خلق الخلق واعطاهم عقولاً يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدراً بها يقدرون على الخير والشر ان يمنعهم عن سوء اعتقادهم به وعن الجهل والكذب وايذاء الصالحين من خلقه وغير ذلك

من القبائح ويرغبهم في عمل الخير واتصافهم بالاخلاق الفاضلة التي ينتظم بهما معاشهم ومن المعلوم ان هذين الامرين لا يتمان الا بربط عمل الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب والعقاب غير حاصل في دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها ذلك ولا يقال انه يكتفي في الترهيب والترغيب بما اودع في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واللذات الجسدية واذا حصل هذا التعارض بين ما تدل عليه العقول وبين الهوى والنفس فلا بد من مرجح قوي ومعاضد كامل وما ذلك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل والترك

ثم من حكمة السلطان الحكيم الرحيم ان يبعث نفوس رعيته للعطف على الفقراء ليعينوهم بشيء من الاموال على مصالح معاشهم واللائق بالاغنياء ان تكون تلك الاعانة منهم على وجه الرغبة وانشراح الصدر وبذلك يصلح حال الفقراء ويندفع عنهم الشقاء ويفارقهم العناء في الجملة وحيث ان النفوس مفطورة على حب المال ولا تسمح بصرف شيء منه الا اذا وجدت عوضاً هو خير منه فكان من حكمة الله تعالى ان يجعل داراً غير هذه

الديار يكافئ فيها بالخير المتصدقين على الفقراء والمساكين ويجازى مانعي الصدقات والزكوات بما يستحقون فاذا علم الاغنياء بوجود دار اخرى وانهم يكافؤن فيها على الصدقة بعشر امثالها فحينئذ ينفقون على الفقراء والمساكين برغبة وانشراح صدور لما يرجونه من نوال الاجور بل يرغبون ايضاً في الصدقات الجارية التي لا تنقطع فيرصدون الاوقاف الجسيمة ويشيدون للصلوات والاذكار واطعام الطعام المساجد والزوايا والتكايا العظيمة فينتج عن ذلك من الخيرات ما لا يدخل تحت الحصر وكل ذلك ناشئ عن الرغبة في نعيم الدار الآخرة والنجاة من عذابها ولولا ذلك لما كان من تلك المآثر الخيرية الا اقل القليل

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية وكان بعضهم اقوياء وبعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوي والله سبحانه وتعالى سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل في هذه الدار لاننا نرى المظلوم قد يبقى فيها مهاناً في غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض والظالم يبقى في غاية العزة والقدرة فلا بد من دار اخرى يظهر

فيها هذا العدل وهذا الانصاف

ثم انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان الانسان اخس من جميع الحيوانات في المنزلة والشرف وبيان ذلك ان مضار الانسان في الدنيا اكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها في الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتأمل اما الانسان فبسبب ماله من العقل يتفكر ابداً في الاحوال الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب اكثر الاحوال الماضية انواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب اكثر الاحوال الآتية انواع من الخوف فثبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية اما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السرقين في مذاق الجعل طيب كما ان انخر الحلويات في مذاق الانسان طيب فلو لم يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب ان يكون كمال العقل سبباً لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم ان كل ما يكون كذلك فانه يكون سبباً لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت انه لولا حصول السعادة الاخروية لكان الانسان

اخس الحيوانات حتى الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلاً قطعاً علمنا انه لا بد من الدار الآخرة والانسان خلق للآخرة لا للدنيا نعم ان هـذه الدار هي كالمميز بين الاخيار والاشرار ليجزى الاولون بالثواب والآخرون بالعقـاب لان كل من كان شريراً فالنـار اولى به ويكون حظه من الوجود مايحصله من لذات هذه الدار الفانية فلذلك نراها موفورة لكثير من اهل الزيغ الاشرار منغصة على كثير من اهل الايمان الاخيار

ومن هذا المقام يعلم ان مذهب المنكرين للمعاد من الكفار شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام اصلاً ومع هذا يمتنع العمران وقولهم بان نظام العـالم يكمل بمعرفة الانسان ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات الانسانية وهذه المعرفة تكمل له بالعلم الصحيح التام العام نقول في جوابه انهم قد غفلوا عن ان الاهواء والشهوات وحب الذات لا يقاومها مجرد القوانين التي يقيمها العلم السياسي فلا بد من وازع آخر يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافأة على الاعمال ان خـيراً فخير وان شراً فشر والا فليتأمل العاقل في الانسان اذا كان يعتقد انه مثـل نبات الارض ينبت ثم يزول لا الى رجعة وليس له حظ من

وجوده الا لذاته الحيوانية التي ينالها مدة حياته فهما سن له العلم السياسي من الضوابط لمعرفة ما له وما عليه فاذا قدر على قتل سواه واخذ ماله الذي يبلغ الملايين بدون ان يطلع عليه احد من الناس او هتك اشرف عرض وبلوغ لذة بدون اطلاع احد فهل يظن ان تلك القوانين التي سنها له العلم السياسي تردعه عن ارتكاب ذلك لا يقول بذلك الا مكابر ومن المعلوم ان الانسان مفطور على حب ذاته فمن يدري به حق الدراية لا يأمن له في شيء الا اذا وجد مرتبطاً بالدين وانا نرى ان بعض الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها من بعض افرادها ما يظهر من الفساد فكيف يكون حالها لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلاشك ان فسادها يصير عظيماً جداً على اننا نرى الامم التي انتشر بينها العلم الدنوي لا سيما السياسي في هذا الزمان لا تزال آخذة في سبيل الشرور بل كلما ازداد ذلك العلم بينها ازدادت شرورها وفشا بينها الزنا الذي يضيع الانساب ويحل عقد التناصر وقتل النفس والانتحار وازالة العقل بالمسكرات والاحتيال بفنونها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وماذلك الا لان علومها التي برعت فيها ليس لها في اعتقاد المعاد نصيب وبالظن ان تلك الامم لولا بقية

من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت للدمار واخذت تمحي من لوح الوجود ومما يضحك الثكلى ان القوم الذين ينكرون البعث والمعاد لما لاحظوا ان العلم لا يتكفل بنظام الهيئة الاجتماعية الا اذا كان تاماً عاماً في جميع الافراد الانسانية اشترطوا في تكفله بذلك ان يكون تاماً عاماً ثم قالوا لابد من ذلك يوماً ما الا ان ذلك بعيد جداً وربما يلزم له الوف من الاجيال فهم في رفضهم لاعتقاد المعاد وتمنيهم في العلم هذه الاماني الواهية مثل الطبيب الاحمق الذي يقول للمريض بالمرض القتال اترك الحمية وكل ما شئت واني بعد كذا وكذا من السنين آتيك بدواء يكون به شفاؤك فالى ان يأتيه بذلك الدواء يكون المريض قد هلك وأصبح عظاماً نخرة على انه ليس من حسن التدبير وكياسة الرأي والاخذ بالحزم مع عدم اعتقاد اولئك المنكرين للمعاد ان يجاهروا به بين العموم حتى يروا ان العلم الذي يزعمونه بمجرده متكفلاً بحفظ نظام العالم قد تم وعم والا فهم بمجاهرتهم بهذا القول الباطل قد فتحوا باب الدمار على العالم ونعوذ بالله تعالى ان يشيع هذا الفكر بين الامم ومعاذ الله تعالى ان يشيع والعقول تأباه هدانا الله واياهم لما فيه خير الانام

والنصيحة لهؤلاء المنكرين ان يأخذوا بالحزم والاحتياط ويتصوروا انهم اذا صدقوا بالمعاد وتأهبوا له فاذا كان حقاً نجوا وان كان باطلاً لم يضرهم هذا الاعتقاد غاية ما في الباب ان يقال انه تفوتهم اللذات الجسمانية لكن هذه اللذات يجب على العاقل ان لا يبالي بها لامرين احدهما انها في غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنفساء والديدان والثاني انها منقطعة سريعة الفناء والزوال فالحرص عليها لا يساوي ترك الحزم والاحتياط في الامر الذي تخشى عواقبه والله الموفق

﴿ الباب الثالث ﴾

« في رد شبه عن نصوص شرعية تعتمد في الاعتقاد »
« او التوفيق بينها وبين ما يثبت بالدليل العقلي »
« القاطع مما ينافي المعاني الظاهرة لتلك »
« النصوص وفيه اربعة فصول »

اعلم اننا في هذا المقام نحتاج الى ثلاث مقدمات

« المقدمة الاولى »

ليعلم ان النصوص الشرعية التي يعتمد عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها في احكام العبادات واحكام المعاملات هي الآيات

القرآنية وبعض أحاديث نبوية ثبت نقلها لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثبوتاً قطعياً تسمى بالمتواتر او بعض احاديث ثبت نقلها عنه عليه السلام ثبوتاً قريباً من القطعي يوجب طمأنينة القلب والطمأنينة هي فوق الظن ودون اليقين وتسمى هذه الاحاديث بالمشهور ثم ان كل نص من هذه النصوص يجب علينا ان نعتمد فيه معناه الظاهر المتبادر منه ولا يسوغ لنا تأويله وصرفه الى معنى آخر غير متبادر الا اذا قام دليل عقلي قطعي يناقض معناه الظاهر فحينئذ يكون قيام ذلك الدليل العقلي قرينة دالة لنا على ان معناه الظاهر غير مراد الشارع بل مراده معنى آخر غير ما يتبادر منه فنؤول النص حينئذ ونصرفه الى معنى آخر غير الظاهر المتبادر على سبيل الاحتمال يكون قابلاً له وغير مناقض لذلك الدليل العقلي القطعي هذه هي القاعدة الكلية في النصوص الشرعية التي اعتمدها اهل السنة والجماعة وانما لم يجز ارادة غير المعنى الظاهر من النص الا لداع يدعو اليه لان الاصل في التخاطب ارادة المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه اذ ارادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللاً في الافادة والاستفادة وفي ذلك من المفاسد ما لا يخفى وانما انحصر الداعي الى ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلي القاطع لان رفض هذا

الدليل رفض للاصل الذي ثبت به صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وهو العقل اذ لولاه لما امكننا الاستدلال على صدقه عليه السلام بدلائل المعجزات ورفض العقل يوجب رفض الشرع وأما معارضة الدليل العقلي الظني فلا تكون داعياً لترك الظاهر من معنى النص لان رفض الدليل الظني لا يوجب رفض العقل كما هو واضح لاحتمال ان هذا الظن باطل في نفس الامر فلو تركنا الظاهر من النص لاجل الدليل الظني لكنا في معرض ان يكون اعتقادنا خطأ لاعتمادنا على الظن وحينئذ لا تعذر في ذلك اذ لا ضرورة تدعونا اليه كما تدعونا الضرورة عند معارضة الدليل العقلي القطعي على ان اتباع الدليل الظني وترك ظواهر النصوص يوجب اختباطاً واختلاطاً في الاعتقاد لا يحد فان الظنون كثيرة والاعتقاد في الشرائع انما يعتمد فيه اليقين فكان الصواب ان يتمسك بظواهر النصوص اليقينية الورود ولا يتحول عنها لمجرد الظنون

ثم قد يوجد في الاحاديث النبوية نصوص لاتتوفر في نقلها عن الرسول عليه السلام الشروط التي تبلغ بها درجة المتواتر او المشهور فلا يكون ثبوت ورودها يقينياً بل ظنياً وتسمى بالآحاد ويعتمد عليها في احكام العبادات والمعاملات ولا يجب

ان يعتمد عليها استقلالاً في الاعتقاد حيث انها ظنية والاعتقاد لا يعتمد على الظن ولكن اذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء في الاحكام لا يجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلي لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور الموجب انكارهما الكفر او التضليل والعياذ بالله تعالى نعم اذا اكتنف الآحاد ما يقويها ويجعلها يقينية الثبوت فيعتمد عليها حينئذ في الاعتقاد كما قيل في حديث عذاب القبر والله تعالى اعلم

« المقدمة الثانية »

اعلم انه لا يجب علينا شرعاً من الاعتقادات الا ما قام عليه الدليل العقلي القاطع الذي لا يحتمل النقيض او ما قام عليه الدليل الشرعي بان نقل لنا عن الرسول عليه السلام آية قرآنية او حديث متواتر او حديث مشهور يدل على ذلك ولا يجب علينا تقليد غير الرسول المعصوم عليه السلام فيما ثبت عنه قطعياً واما اذا نقلت لنا مسئلة اعتقادية عن اكبر علماء الامة الاسلاميه من غير اظهار دليلها العقلي القاطع او دليلها الشرعي الثابت قطعياً عن الرسول عليه السلام فلا يجب علينا تقليده في تلك المسئلة لا سيما اذا كانت مناقضة لظاهر من ظواهر نصوص الشريعة التي تعتمد في الاعتقاد نعم اذا أول بعض العلماء الذين

يعتمد عليهم في فهم النصوص الشرعية بعض تلك النصوص بتأويل مناسب موافق للقواعد الشرعية والاصول العربية فالاخذ بتأويله سائغ غير مضر في عقيدتنا اذا ظهر لتأويله داع قوي مثل الدليل العقلي القاطع الذي يحمل على التأويل وصرف النص عن ظاهر معناه فانه حينئذ يكون الاخذ بتأويله هو الصواب ولا يقال اننا قلدنا ذلك العالم في الاعتقاد وانما يكون اعتقادنا معتمداً على النص وقلدناه بفهم النص وتأويله لانه هو أعلم منا بذلك فمن هنا يظهر لك خطأ بعض أهل هذا العصر في تقليد فلان الفلكي او فلان الجغرافي او فلان الجيولوجي المشهورين في فنونهم في بعض مسائل ربما تكون مخالفة لظواهر نصوص الشريعة التي تعتمد في الاعتقاد فهذا الحال ربما يوقع هؤلاء المقلدين في الخروج عن الدين والعياذ بالله تعالى وهم لا يشعرون والذي يوقع اولئك المقلدين في تقليد فلاسفة هذا الزمان في تلك المسائل هو انهم نظروا لهم ادلة في بعض مسائل فنونهم يقينية قطعية كادلتهم في المسائل الحسابية والهندسية وبعض التجربات الطبيعية المحسوسة فاغتروا بهم وأوقعهم الوهم في اعتقاد ان كل ما يقوله اولئك الفلاسفة صواب يقيني الثبوت وانهم لا يعتمدون في ادلتهم في جميع فنونهم الا على اليقين ولم يدروا

انه يوجد فرق بين ادلة المسائل الحسابية وما ذكر معها و بين ادلة كثير من المسائل الفلكية مثلاً بان تلك يقينية وهذه قد يوجد بينهـا كثير من الظنون والتخمينات وقياس الغائب على الشاهد الذي قد يكون في نفس الامر قياساً فاسداً وان قيل ان بعض تلك المسائل التي يقلد بها المقلدون فلاسفة هذا الزمان تكون مجمعاً عليها عندهم قلنا انا معشر المسلمين لسنا مامورين في شريعتنا بتقليد اجماع الا اجماع هذه الامة المحمدية اي اجماع علمائها الذين هم اهل الاجتهاد وفهم نصوص الشريعة حيث شهد لهم الرسول عليه السلام بانهم لا يجتمعون على ضلالة على ان اجماع هؤلاء الفلاسفة على بعض تلك المسائل قد يكون مبنياً على دليل ظني فلا يفيد عصمة اجماعهم من الخطأ لاسيما في المسائل التي تكون بعيدة الموضوعات عنهم كما في المسائل الفلكية والجوية فان معظم ادلتهم فيها الحدس والتخمين وقياس الغائب على الشاهد كما يعلم من الاطلاع على كتبهم التي تقرر فيها تلك المسائل ولنا عبرة فيما حدث على مذهب المتقدمين من الفلكيين في وجود الافلاك وما لها من الاحكام فانه قد مرت عليه المئات من السنين وهم مجمعون عليه وكم الفوا فيه من الكتب وكم دونوا من الاصول والقواعد وكم صوروا صور الافلاك وذكروا لها من

الاحكام الطويلة العريضة فجاء المتاخرون وابطلوه من اصله وصار بينهم يعد خرافة من خرافات البشر اذا تقرر هذا فاعلم انه كان من حق اولئك المقلدين لفلاسفة هذا الزمان في بعض المسائل المخالفة لظواهر نصوص الشريعة الاسلامية ان يبحثوا عن ادلتهم فيها و يطلعوا عليها فان كانت ظنية فلا يلقون لها بالاً ولا يتركون اعتقاد ظواهر نصوص شريعتهم القطعية الثبوت عن رسولهم الصادق المعصوم وان كانت ادلة يقينيـة ولم يبق معها ريب في دلالتها على ما يناقض ظواهر نصوص الشريعـة فحينئذ يسوغ لهم تأويل تلك الظواهر والتوفيق بينها وبين تلك المسائل كما هو القاعدة التي مرّ تقريرها عند اهل السنة والجماعة وان لم يكن اولئك المقلدون اهلا للتاويل فليرجعوا فيه الى علماء الدين الاعلام فيفهمونهم التاويل اللازم الجاري على قواعد الشريعة واصول اللغة العربية التي جاءت بها النصوص الشرعية ويأمنون على ايمانهم الذي به سعادة الدارين والله الموفق

« المقدمة الثالثة »

ان الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد منهـا بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال والى كيفية عبادته واداء شكره والى الاحكام

التي توصلهم الى انتظام المعاش وحسن المعاد واما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم وما هي النواميس القائمة في السماويات او في الارضيات وامثال ذلك فليس شيء من نحو هذا من مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هي معارف تتوصل الناس اليها بعقولهم فربما ينتفعون بها في دنياهم وبما يكون حظهم منها مجرد الاطلاع والشرائع لا تلتفت اليها اولاً وبالذات ولا تعتني بتفاصيلها نعم قد تذكر شيئاً منها مجملاً على قدر ما يكون له دخل في مقاصدها الاصلية فتذكر مثلاً خلق السماوات والارضين وابرازها من العدم واختلاف انواع المخلوقات في التنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل منها نظامه على سبيل الاجمال لاجل ان يكون ذلك دليلاً عقلياً للناس على وجود آله العالم وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الى غير ذلك وقد تفصل بعض تلك المباحث لداع يدعو الى ذلك يكون مرجعه الى مقاصدها اذا تقرر هذا فنقول



﴿ الفصل الاول ﴾

« في رد الشبه عن النصوص الشرعية الواردة في السماويات »
« والارضيات او التوفيق بينها و بين ما قام عليه »
« الدليل العقلي القاطع مناقضاً لظواهرها »

اعلم انه قد ورد في نصوص الشريعة الاسلامية التي تعتمد في الاعتقاد ان الله تعالى خلق سبع سموات وخلق جسماً كبيراً فوق تلك السماوات يسمى كرسياً وجسماً اخر فوقه يسمى عرشاً وان بيننا و بين تلك الاجسام مسافات عظيمة كما ان بينها مسافات وانه تعالى خلق جسماً كبيراً يسمي لوحاً وجسماً اخر يسمي قلماً لاثبات ما يكون في العالم وتسطيره لا عن حاجة الى جميع ذلك بل لحكم هو يعلمها سبحانه وانه خلق داراً تسمي الجنة اعدها لنعيم الطائعين وداراً اخرى تسمي جهنم اعدها لعذاب غير الطائعين بعد خراب عالم الارض والسموات وبعث الناس بعد الموت كما تقدم وانه خلق الكواكب وجعلها زينة السماء الدنيا اي السماء القربى من الارض فقال بعض علماء الاسلام هي مركوزة في نفس السماء وهو قول جمهور المفسرين وقال بعضهم هي دون السماء بينها و بين الارض وهو منقول

عن مكي وعن وهب ونقله في مختصر الهيئة السنية للقرماني عن
كثير من المفسرين وغيرهم ونقل الشيخ مرعي الحنبلي في عجائب
المخلوقات حديثاً آحادياً يدل عليـه وكذلك نقل هذا الحديث
بو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي في كتاب الملكوت ونقل الرازي
راً عن كعب في تفسير صورة القدر صريحاً في ان الشمس دون
سماء الدنيا وعلى هذا القول فيكون معنى كونها زينة السماء
دنيا انها زينة لها بحسب مرأى الناظرين اليها وان كانت تحتها
هذا لا يلزم منه ان تكون مركوزة في نفس السماء ولعل
صحاب هذا القول يتأولون قوله تعالى وجعل القمر فيهن نوراً
في السماوات نظير هذا التأويل وورد ايضاً من نصوص
شريعة ما يفيد ان كلاً من الكواكب يسبح في فلك فقال
بعض علماء الاسلام ان الفلك هو جسم يحمل الكواكب وقال
بعضهم هو مداره اي الحيز الذي يسير فيه من الفراغ وهـذا
ل الضحاك كما في الرازي والذي عليه جمهور علماء الاسلام ان
سماء مرئية لنا كما يستفاد من ظاهر بعض النصوص وقال
بعضهم انها غير مرئية وانمـا المرئي الهواء نقله في عجائب المخلوق
القاضي ابي بكر بن العربي ولا بد انه يؤول النص الذي يدل
ظاهره على انها ترى بتأويل مناسب وورد ايضاً في النصوص

الشرعية ان الله تعالى خالق سبع ارضين فقال بعض العلماء ان المراد بها اقاليم ارضنا السبعة وقال بعضهم ان المراد طبقات الارض المتراكمة على بعضها وروي في بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كل ارض منها كارضنا وفيها عالم كعالمنا وورد من النصوص ما ظاهره ان الارض بسيطة كما في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهو مذهب جمهور علماء الاسلام وقال بعضهم انها كروية وممن قال بذلك الامام الرازي وتأولوا قوله تعالى دحاها بانه جعلها صالحة اسكنى الحيوانات بعد ان لم تكن كذلك وظاهر بعض النصوص يفيد ان الشمس هي التي تسير كما قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها وقوله تعالى وجدها تطلع ووجدها تغرب وكما يفهم من استعمال اهل الشرع في عصر *(النبي)* صلى الله عليه وسلم و بعده من قولهم طلعت الشمس وغربت الشمس وظاهر ذلك ان الارض ساكنة وان لم يرد تصريح بحركتها ولا بسكونها فيجب علينا معشر المسلمين الايمان بما تعطيه ظواهر هذه النصوص والاخذ بقول جمهور العلماء فيما فهموه منها وتأويل بعض العلماء المخالف للجمهور وان كان الاخذ به لا يضر في الدين بفساد الايمان لانه جار على تأويل مناسب ولكن حيث لم يظهر لنا داع قوي يدعو لل

التأويل فالاخذ بقول الجمهور واعتمادنا على ما فهموه من النصوص يكون هو الموافق لقواعد الدين الاسلامي

فان قيل ان المتأخرين من الفلاسفة الفلكيين يدعون انهم بارصادهم وبوسائط الآلات التي اخترعوها للنظر في احوال السماويات قد ثبت عندهم انه لا يوجد في الكون الا الكواكب وان ارضنا التي نحن عليها هي كرة ومعدودة من جملة الكواكب وان الشمس واقفة في الوسط تدور فقط على محورها دورة بطيئة والارض وجميع الكواكب تدور حولها بواسطة ناموس يسمى ناموس الجاذبية وان لارضنا كما لغيرها من الكواكب دورتين دورة سنوية حول الشمس منها تتولد الفصول الاربعة ودورة يومية على محورها ومنها تتولد اوقات الليل والنهار بواسطة مقابلة نور الشمس تارة والاستتار عنه اخرى وان الذي نراه من الزرقة انما هو لون الجلد وليس هو سماء اذ لا وجود للسموات عندهم ولا يقولون بوجود ارضين غير هذه الارض وشاعت اقوالهم هذه واخذ بها الكثير من عامة الاسلام من غير التفات الى التوفيق بينها وبين النصوص الشرعية التي تقدمت فكيف يكون التوفيق وما الحكم في ذلك قلنا قد تقدم لك انه يجب علينا اعتقاد ظواهر النصوص الشرعية واعتماد ما عليه الجمهور في فهم

معانيها ولا يجوز لنا تأويل النصوص وصرفها عن ظواهرها الا لداع قوي وهو قيام الدليل العقلي القاطع المناقض لظواهر النصوص ولا يجوز لنا تقليد علماء الاسلام في امر الاعتقاد من غير ان يظهروا لنا دليلاً عقلياً او شرعياً فكيف بمن سواهم وعلى هذا فمن بلغه منا معشر المسلمين اقوال اولئك الفلكيين المتأخرين من غير دليل عقلي قاطع يثبت كل مسئلة من المسائل التي يدعونها فيما تقدم او بدليل ظني لا ينتج اليقين فعليه ان لا يلتفت لكلامهم ولا يتحول عن اعتقاد ما تعطيه ظواهر النصوص الشرعية التي تقدم نقلها ولا يهمل اعتماده على ما فهمه جمهور علماء الاسلام منها هذا هو الواجب عليه والحافظ لايمانه من الاختلال واما اذا بلغ احداً منا كلامهم المتقدم مع اقامتهم له الدليل العقلي القاطع الدال على كل مسألة من المسائل المذكورة من مسائلهم ويكون ذلك مناقضاً لظواهر النصوص التي تقدمت بخصوص تلك المسائل فعليه ان يرجع حينئذ الى القاعدة الكلية التي تقدم لنا تقريرها وهي تأويل تلك النصوص وصرفها عن ظواهرها الى احتمال معان تناسب ما قامت عليه ادلة اولئك القوم العقلية القطعية اليقينية ولا ضرر عليه في ذلك بعد ان يتحقق صحة ادلتهم وافادتها اليقين الذي لا شبهة فيه اذا تقرر هذا فنقول في رد

شبه هـذا المقام والتوفيق بين نصوصه وبين ما يفرض تحققه من الادلة اليقينية المناقضة لتلك النصوص

اما قول اولئك الفلكيين ان الكواكب قائمـة في الفضاء بناموس الجاذبية وليس مركوزة بسماء فهو امر جائز عقلاً داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى ويكون ذلك الناموس من جملة الاسباب العادية التي وضعهـا الله تعالى في الاكوان فاذا قام لنا الدليل العقلي القاطع على قيام تلك الكواكب في الفضاء كما يقولون نتأول النص الذي ظاهره ان الكواكب مركوزة في السماء وهو قوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح بانه من المحتمل ان يكون مراده تعالى بكونها زينة انها زينتها بحسب مرأى الرائين وان كانت تحتها كما قال بذلك جملة من علماء الاسلام وتقدم نقله عن مكي ووهب وكثير من المفسرين وكعب ونأخذ بقول من قال من علمائنا ان المراد بافلاك الكواكب هو مداراتهـا من الفضاء التي تدور فيها لا انها اجسام تحملها ولنكون قد جرينا على قاعدة التأويل عند قيام الدليل القطعي المعارض مع الموافقة لجملة من العلماء على اسهل وجه

واما قول اولئك الفلكيين ان المرئي انما من الزرقة هو لون الجو فغاية ما عندهم من الدليل ان نظاراتهـم المجسمة

لم تكشف لهم جسماً غير الكواكب قائمة في الفضاء ولذلك انكروا وجود السماء ونقول ما المانع ان السماء لشدة بعدها عن الارض بمسافات شاسعة ما عادت النظارات صالحة لان تحقق جسميتها لهم ويمكن ان يكون لونها هو الذي يخفي حقيقة جسميتها وهذا هو الذي اوهمهم عدم وجود جسم في الفضاء غير الكواكب على ان بعض علماء الاسلام وهو القاضي ابو بكر ابن العربي قد قال بان السماء غير مرئية وتأول النص الذي ظاهره انها ترى كما تقدم ولا يلزم من عدم رؤيتها عدم وجودها كما هو القاعدة المسلمة من انه لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود والله تعالى اعلم

واما قول هؤلاء الفلكيين ان الارض كرة فبعد اقامتهم لنا الدليل العقلي القاطع الدال على كرويتها لا مانع لنا من القول به ويمكن تأويل النص الذي ظاهره انها مبسوطة كقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بان جعل سطحها صالحاً للسكنى بعد ان لم يكن كذلك مع انها في نفسها كرة كما قال به الامام الرازي وغيره ولا بد انه قام الدليل القاطع لدى من قال من علماء الاسلام بكرويتها والله تعالى اعلم

واما قولهم ان الشمس لا تسير حول الارض وانما لها دورة

بطيئة على محورها والارض هي التي تدور دورتين احداهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول الاربعة والاخرى يومية على محورها تتولد منها اوقات الليل والنهار فنقول

هذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فاذا اقاموا لنا الدليل العقلي القاطع على ذلك فلا مانع من القول به ونتأول ما ظاهره من النصوص الشرعية ان الشمس تسير وهو قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها بان المراد من جريها هو دورانها على محورها وانها تجري الى استقرار يكون لها بعد ذلك عند ما يخرب عالم السموات والارض بمجيء يوم القيامة فانها حينئذ تقف عن تلك الدورة وان سبحها في فلكها عبارة عن دورتها على محورها في الحيز الذي هو فلكها كما تقدم ان الفلك هو الحيز في تفسير بعض علمائنا واما الارض فانه وان لم يرد تصريح في النصوص الشرعية بحركتها او بسكونها ولكن نسبة الجري والسبح في الفلك الى الشمس وظواهر استعمالات الشرع واهل العصور الاسلامية تدل بالظاهر على انها ساكنة والحركة اليومية التي نراها انما هي للشمس والكواكب لا الارض فاذا اقام لنا هؤلاء الفلكيون الدليل العقلي القاطع على ان تلك الحركة اليومية للارض تدور على محورها يمكننا ان نصرف النص الذي ظاهره

سير الشمس على ظاهره كما تقدم كما يمكننا ان نقول ان استعمالات الشرع فيما يدل ظاهره على ان الدورة اليومية للشمس لا الارض وجري على ذلك استعمالات العصور الاسلامية انما كان ذلك جرياً على الظاهر المشاهد للعامة ومجاراة لاستعمال الامم وما الفوه في نظرهم وتكون هذه المسئلة من جملة المسائل التي لم يؤذن للرسل بشرحها للعموم لان كشف حقيقتها ليس من مقاصد الشرائع لما تقدم ان مقاصد الشرائع انما هو بيان التوحيد والعبادات ونظام المعاش وايضاً بيان تلك المسئلة ربما قد يعجز عن فهمه كثير من العامة بل ربما يكون فيه للعامة اضطراب واختلال لا سيما الضعفاء منهم الذين يجدون ذلك مخالفاً لمشاهدتهم ولسنا نقول ان فهم هذه المسئلة يصعب على اجلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين حازوا من المعارف النبوية ما يؤهلهم لفهم اعظم المسائل وادقها بل نقول ان فهمها يصعب على العامة لا سيما اهل البوادي ولينظر لو قيل للعرب الجاهلية ان الارض هي التي تدور والعالم على ظهرها لا يسقطون عنها ولا ينفصل عنها ماء البحر ونحو ذلك وهم يشاهدون بابصارهم ان الدائر حول الارض انما هو الشمس والكواكب ماذا يكون حالهم حينئذ وما كان يظهر فيهم من المخالفة والامتناع عن التصديق

لهذا القول وانظر الى ما استبعدوه وانكروه من امر البعث وامثال ذلك ولكن الشرائع في غنية عن بيان مثل مسئلة الارض اذ ليست من مقاصدها واما بيان البعث فهو من مقاصدها لما فيه من الترغيب والترهيب المصلحين للامم فلذلك لم تترك بيانه وان صعب فهمه على كثير بل ذكرته واقامت الدلائل عليه والملخص ان الشرع جرى في استعماله على ظاهر الحال ويسمى ذلك في اصطلاح اللغة تجوزًا ولم يظهر الحقيقة للشعب لما قدمنا وهكذا نرى الآن من يعتقدون دورة الارض يجرون في استعمالاتهم على ما هو ظاهر الحال ويقولون طلعت الشمس وغربت ولم نسمع احدًا منهم يقول قابلنا الشمس او استترنا عنها وكل هذا جائز في الاستعمالات اللغوية لقيام الصورة الظاهرية بالمشاهدة وليعلم ان جميع ما قررناه هنا وان كان سائغًا لنا ولا ضير فيه الا انا لا نقول به الا بعد اقامة الدليل العقلي القاطع على صحة قول هؤلاء الفلكيين والا فنحن متمسكون بالظواهر لا نفارقها ولا نلتفت الى اقوالهم واجماعهم اذ ليسوا معصومين من الغلط كما لم يعصم اسلافهم والله تعالى اعلم

واما انكار هؤلاء الفلكيين لوجود السموات السبع والعرش والكرسي والقلم واللوح والجنة والنار فهذا ليس لديهم دليل عليه الا

انهم ما وجدوا هذه الاشياء ولا رأوها بنظاراتهم المجسمة ونقول ان عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود في نفس الامر وهذا مسلم عند جميع العقلاء فانكارهم لا يعبأ به ثم اننا نحن واياهم متفقون على وجود الفضاء الذي لا يتناهى فما المانع من ان الله تعالى خلق تلك الاجسام وراء عالم الكواكب بعد تسليم ان الكواكب قائمة في الفضاء وتلك الاجسام تكون بعيدة عنا بمسافات شاسعة لا تدركها نظاراتهم أو انها وان ادركت بها السماء الدنيا التي هي اول تلك الاجسام فربما تكون تلك السماء ملونة بلون يوجب عدم تحقق جسميتها بالنظارات فهم لم يروا بنظاراتهم ولم يتحققوا الاجسمية الكواكب فانكروا تلك الاجسام وهي موجودة في الفضاء الواسع الشاسع وحيث ان ذلك جائز محتمل داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى بان يخلق سبحانه تلك الاجسام ويقيمها في ذلك الفضاء كما اقام الكواكب وقد اخبر بوجودها الصادق عليه السلام فنحن نؤمن بوجودها وليس لنا تأويل نصوصها الواردة فيها اذ لا داعي لذلك لعدم قيام دليل قاطع يناقض وجودها ومجرد انكار اولئك القوم ليس دليلاً ظنياً فضلاً عن أن يكون دليلاً يقينياً والله تعالى اعلم

واما انكارهم كون الارضين سبعاً فهذا ايضاً لا دليل لهم

عليه فغاية ما عندهم ان يقولوا اننا لم ننظر غير الكواكب وهذه الارض ونحن نقول اولاً انه لم يتفق جميع علماء الاسلام الذين يعتمد على فهمهم للنصوص الشرعية على حمل النص الذي يدل على وجود سبع ارضين على ظاهره من وجود سبع ارضين منفصلة مستقلة كل واحدة منها بل بعضهم قال ان المراد بها اقاليم ارضنا السبعة و بعضهم قال ان المراد بها طبقات ارضنا وثانياً اذا اجرينا على ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من ان كل واحدة منها منفصلة مستقلة مثل ارضنا وان في كل منها عالماً كعالمنا فهذا شيء من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى الذي اوجد هذه الكواكب العظيمة الذي يوجد بينها ما يزيد في العظم عن ارضنا بمئات الالوف فما المانع ان يكون الله تعالى قد خلق ست ارضين غير ارضنا وتكون تلك الارضون قائمة في الفضاء كما يقول اولئك الفلكيون في ارضنا وعدم رؤيتهم لها بنظاراتهم يمكن ان يكون بسبب انها مظلمة السطح لا ترى كما ان القمر لا يرى عند المحاق و يمكن انهم يرونها بين الكواكب و يحسبونها من جملتها ولا غرابة في ذلك على اصولهم فكثير منهم من يزعم ان في الكواكب سكاناً و يستدلون على ذلك بادلة ظنية تعلم من الاطلاع على كتبهم

فحيث قد تبين ان وجود سبع ارضين لا مانع منه وقد اخبر به الصادق فنؤمن بوجودها ولا نلتفت الى كلام هؤلاء الفلكيين الذين لا سند لهم في انكارها و يسوغ لنا تفسيرها بكل من التفاسير المتقدمة حتى على قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه مع توجيهه بما قدمناه والله تعالى اعلم

وقد بقي نص في القرآن الشريف ترد على ظاهره الشبهة على رأي الفلكيين المتقدمين والمتأخرين وهو قوله تعالى في قصة ذي القرنين حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة فان ظاهره ان الشمس تغرب في عين من عيون الارض وكان يجب علينا الايمان بمعناه الظاهر لكن قد قام الدليل العقلي القاطع من لدن المتقدمين على ان الشمس اكبر من الارض بكثير ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء على مقدارهما من المحال وقام الدليل القاطع ايضاً على ان الشمس لا تغرب في نفس الارض وعلى هذا فقد صرف العلماء الاسلام هذا النص عن ظاهره الى غير ما يتبادر منه فقالوا يحتمل والله اعلم بمراده انه تعالى اراد ان ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الرائي تغرب في عين حمئة لان الناظر الى الشمس في سواحل البلاد الغربية يتخيل

ان الشمس تغرب في بحرها الغربي المحيط بها وذلك البحر كثير الحمأة السوداء والظلمة وذو سخونة وليس مراده انها تغرب في عين بالفعل ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل فاذا هي تغرب مثلاً من العبارات التي تفيد حكاية واقع الامر نصاً وهكذا يقول الرجل منا اني من المكان الفلاني وجدت الشمس تغرب في البحر أو خلف الجبل او في الوادي والحال ان اعتقاده انها لم تغرب في واحد منها وانما حكى صورة رؤيته يؤخذ هذا التأويل من الرازي والجلالين والكواشي كما نقله في عجائب المخلوقات قال الرازي وما قاله أهل الاخبار من أن الشمس حقيقة تغرب في العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق الا أن يصار الى التأويل والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الثاني ﴾

« في رد الشبه عن النصوص الواردة »
« في شؤون الملائكة والجن »

قد تقدم لنا في الباب الثاني وجوب الايمان بالملائكة والآن نقول انه قد وردت نصوص الشريعة متواترة أو مشهورة

وأحاديث احادية لكن لكثرتها وتعدد طرقها بلغ ما يستفاد منها درجة التواتر يدل جميع ذلك على أن الله تعالى خلق اجساماً لطيفة نورانية تسمى ملائكة قادرة على التشكل بأى شكل أرادت وانهـا تقطع المسافات التي بين السموات والارض في مدة قصيرة جداً وانها تمر امامنا ولا نراها وانها تفعل افعالاً عظيمة تعجز عنها قوى البشر وانها موكلة بحوادث هذا الكون كنزول الامطار وتدبير عالم الحيوان والنبات وغير ذلك وانه تعالى خلق اجساماً أخرى تسمى جناً تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصها من نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والاقتدار على أعمال عظيمة ولكنها تخالفهم بانها ليست نورانية مثلهم وانها مكلفة كالبشر فمنهم المؤمن الطائع والعاصي والكافر وقد وردت شبه على وجود الملائكة والجن وشؤونهم من نحو الاقتدار على التشكل والاعمال الشاقة مع انهم اجسام لطيفة وغير ذلك من بعض الفلاسفة المتقدمين وتبعهم المتأخرون ونقول في بيان رد تلك الشبهة واظهار انها اوهام لا تقوم لدى الايمان بعظمة قدرة الله تعالى على ايجاد الملائكة والجن في تلك الشؤون والاحوال

اعلم انه من الممكن الجائز عقلاً ان الله تعالى عظيم القدرة

واسع العلم قد خلق الملائكة من مادة لطيفة كمادة الهواء أو الاثير الذي يقول به المتأخرون من انه مادة لطيفة جداً مالئة الكون لا ترى. وقد كونهم سبحانه من تلك المادة وجمع اجزاءهم بكيفية صالحة لتلك الخواص والشؤون التي ذكرناها لهم كما كون سبحانه الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية اكسبته قبول الحياة وجميع قواها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد ان لم يكن للعناصر شيء من ذلك. ويحتمل حينئذ ان عدم رؤيتنا اياهم لشفافتهم ولطافتهم كالهواء والاثير على ان الامر ظاهر جداً على ما ثبت لدينا معشر المسلمين من ان الرؤية بمحض خلق الله تعالى فمن الممكن ان الله تعالى لا يخلق رؤيتنا لهم عند مرورهم امامنا ثم ان اقتدارهم على التشكل مع انه جائز عقلاً داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى يمكن توجيهه وبيان كيفيته تقريباً للعقول بامكان ان الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون بها على تناول كمية من الهواء او الاثير او نظير ذلك وتكثيفها وتكوينها على الصورة التي يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس الثوب فيظهرون للابصار بتلك الصور وفي الاعمال الكيماوية التي أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفاً واللطيف كثيفاً ما يقرب فهم ما قررناه الى العقول وحيث

أن تشكل تلك الاجسام كيفما كان هو مستند الى عظمة قدرة الله تعالى الذي تدهش اعماله الافكار فيما اعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة في ذلك وكل مؤمن بذلك الآله وبعظيم قدرته وواسع علمه لا يستبعد حصول ما ذكر للملائكة

وأما انهم يعملون اعمالاً عظيمة تعجز عنها قوى البشر مع انهم اجسام لطيفة فبعد النظر الى اعمال الرياح التي تقلع الاشجار العظيمة وتهدم الابنية الجسيمة وأعمال القوة الكهربائية التي تجر الاثقال التي تعجز عنها ألوف الرجال لا تجد في نسبة تلك الاعمال للملائكة مع انهم اجسام لطيفة شيئاً من الغرابة لا سيما وان الذي يقدرهم على تلك الاعمال هو الله تعالى الذي لا يعد ذلك بالنسبة الى عظيم قدرته شيئاً صعباً واذا نظرنا الى إن بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هي قوة ذراعه الا عمل اعصابه مع عضلاته التي تنتهي اخيراً الى مخه اللطيف النحيف الذي هو مبدأ حركة الاعضاء على ما يقوله اولئك الفلاسفة والمخ للطافته لا يتحمل أذى مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم له قد تفسده وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا ان الله تعالى قادر على اعطاء اللطيف قوة لا توجد في الصلب الكثيف سبحانه من قادر عليم واما ان الملائكة

يقطعون المسافات الشاسعة بين الاجسام السماوية وبينها وبين الارض بمدة قصيرة جداً فنقول

لا مانع منه عقلاً لان سرعة الحركة ليست محصورة بحد يسير فلينظر الى ما قاله اولئك الفلاسفة من ان الجسم الساقط الى الارض في أول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدماً واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته في تلك الثانية أربعمائة وخمسين قدماً ثم ان الجسم يسقط في أي عدد كان من الثواني بعد الثانية الاولى ما يساوي مقدار ما يسقط في الثانية الاولى مضروباً في مربع ذلك العدد من الثواني فبالتأمل في هذا الناموس يعلم ما تبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التي يحتار فيها الفكر وكذلك عندهم في علم الهيئة ان نجم المشتري يجري ثلاثين الف ميل في الساعة أي أسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجري تسعة أميال كلما تنفس الانسان وسرعة اجزائه الاستوائية في دورانه على محوره اربعمائة وسبعة وستون ميلا كل دقيقة في الساعة يقطع كل جزء من تلك الاجزاء سبعة وعشرين الفاً وتسعماية وعشرين مرة والمشتري اكبر من ارضنا بألف واربعمائة مرة على ما يقوله الفلكيون منهم فالذي جعل هذا الجسم الكثيف العظيم وكل جزء من اجزائه الاستوائية تقطع

تلك المسافة الشاسعة في تلك المدة الجزئية لا يبعد على قدرته أن يجعل الملك يقطع تلك المسافات بين السموات والارض في مدة قليلة جداً وان كانت هذه المسافات اكثر بكثير من المسافات التي يقطعها المشتري واجزاؤه لكن النظر الصحيح في سير ذلك الكواكب يقنع العقل بأن قدرة الله الذي سيره ذلك السير صالحة لاعظم ما يكون من جنس هذا العمل لا سيما وناموس الاجسام الساقطة قد بين عظم سرعة حركة الاجسام وان قيل ان سير المشتري هو بواسطة الجاذبية على ما هو مفصل في كتب اولئك القوم وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلنا وما هي تلك الجاذبية التي ينسبون اليها اعمالاً عظيمة في الكائنات وهم يعجزون عن الافصاح عن حقيقتها وعما هو الموجب لقيامها في الاجسام وغاية ما يكون منهم انهم يقولون بها لتعليل الحوادث التي حيرت عقولهم من نحو النظام الشمسي اي دوران الكواكب حول الشمس وغيره وبعد تسليم ثبوتها نقول من الذي اوجدها وجعلها خاصة الاجسام وانشأ عنها تلك الحوادث العظيمة في الكائنات اغير الاله الذي ابدع الخلق من العدم ووضعه على اتم نظام واسمى حكم فاذا كان ذلك الاله قادراً على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث حركات الاجسام السريعة عنها فلا يعجز ان يجعل

الملك يقطع تلك المسافات في مدة وجيزة اما بخاصة وضعها فيه واما بغير خاصة فالكل جائز عقلاً وقدرته صالحة لكلا الامرين وليعلم ان جميع ما قررناه في حق الملائكة يقال مثله في شأن الجن من القدرة على التشكل والاعمال العظيمة وقطعهم المسافات الطويلة في برهة قليلة وعدم رؤيتنا لهم والاستدلال واحد لا يخفى على الفطن الذكي والله تعالى أعلم ،

نقول ومن هذا المقام تبين لك اندفاع الشبهة التي ترد على الاسراء والمعراج اللذين حصلا لسيدنا ﷺ محمد ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم والشبهة التي ترد على انتقال عرش بلقيس من بلاد اليمن الى مجلس سليمان عليه السلام في لمحة طرف اما الاسراء والمعراج فقد ورد في القرآن الشريف ان الله تعالى اسرى بسيدنا ﷺ محمد ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة واحدة من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الاقصى في القدس وورد في الاحاديث الصحيحة التي بلغت بكثرتها درجة القطع بثبوتها ان الله تعالى أصعده في تلك الليلة الى السموات العلى ثم أعاده الى مكة في نفس تلك الليلة قبل أن يطلع الفجر فيجب علينا الايمان بذلك حتى أن كثيراً من العلماء يذكرون الاسراء والمعراج في جملة العقائد التي يجب الايمان بها وانما أخرنا ذكرها

الى هنا لبيان دفع الشبهة عنهما في مناسبة هذا المقام فنقول حيث قد ظهر هنا أن سرعة الحركة للاجسام مهما بلغت القدر العظيم فهي من أن الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فما المانع أن الله تعالى ينقل ذات سيدنا ﷺ محمد ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة واحدة من حرم مكة الى حرم القدس ثم الى السموات العلى ثم يعيده في تلك الليلة الى مكة فمن يؤمن بوجود الله تعالى ويتبصر في أعماله في هذه الاكوان ويعتقد ان سيدنا ﷺ محمداً ﷺ رسوله وقد أخبرنا بانه قد حصل له ذلك الانتقال السريع في تلك المسافات وهو صادق معصوم عن الكذب لا يتوقف بتصديق قصة الاسراء والمعراج ويؤمن بذلك من دون تردد ولا يجده الا من الامور الجائزة الداخلة تحت تصرف قدرة ذلك الآله العظيم وأما من لم يكن مؤمناً بوجود الآله سبحانه وعظيم قدرته ولم يعتقد برسالة رسوله فهذا الصواب في حقه أولاً أن يرشد الى الايمان بالله تعالى ورسوله بواضح البرهان وبعد ذلك يسهل عليه تصديق نصوص الاحاديث والقرآن والله الموفق

وأما قصة مجيء عرش بلقيس من بلاد اليمن الى مجلس سليمان في لمحة طرف فقد وردت هذه القصة في القرآن الكريم

وانها جرت على يد من عنده علم من الكتاب فبعض المفسرين قال انه آصف بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام فيكون مجيء ذلك العرش كرامة اظهرها الله تعالى على يده لانه من أولياء الله تعالى وبعضهم قال انه نفس سليمان عليه السلام فيكون ذلك معجزة أظهرها الله تعالى على يديه اذهي امر خارق للعادة ومن تأمل فى هذا المقام وظهر لديه ان سرعة حركة الاجسام مهما بلغت فهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا يصعب عليه الايمان بهذه القصة والله على كل شيء قدير

﴿ الفصل الثالث ﴾

« فى رد الشبه عن بعض النصوص الشرعية »
« الواردة فى الامور الجوية كالمطر ونحوه »

اعلم ان الآيات الواردة فى القرآن الشريف فى شأن المطر هي على قسمين منهـا ما ظاهره ان المطر ينزل من السماء ومنهـا ما ظاهره انه ينزل من السحاب ثم ان السماء تطلق فى اللغة العربية التي جاءت هذه الشريعة الاسلامية بهـا على عدة معان كما فى قواميس تلك اللغة منها السماء التي هي مسكن الملائكة

ومنها سقف كل شيء وكل بيت ومنها كل ماعلا الشيء فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر وبناء على ما تقدم من وجود اعتمادنا على المعنى الظاهر المتبادر من النص ما لم يقم دليل قاطع على خلافه علينا ان نعتقد المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السماء المذكور في انزال المطر وهو مسكن الملائكة كما هو المراد في كثير من الاستعمالات الشرعية ونوفق بين النصوص التي ظاهرها نزول المطر من السماء والتي ظاهرها نزوله من السحاب بان الله تعالى ينزله من السماء على البخارات المجتمعة في الجو المسماة بالسحاب ثم ينزله منها الى الارض فتارة تذكر النصوص محل نزوله الاول وتارة تذكر محل نزوله الثاني والله أصدق القائلين ونقل عن قطب العارفين سيدنا السيد احمد الرفاعي قدس سره العزيز في بيان هذا التوفيق ان المطر قسمان مطر ينزل من السماء وهو الذي يكون بسببه خروج النبات ومطر يتكون من بخارات الارض وبحارها ويتصاعد الى الجو ثم يتحدر من السحاب وهذا لا يكون به الانبات وان كان له حكم ومنافع الله أعلم بها ثم اذا ثبت بالدليل العقلي القاطع ما يقوله الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون من ان المطر ليس الا من بخارات الارض وبحارها يتصاعد الى الجو بسبب الحرارة ثم ينعقد بسبب البرد

سحاباً ثم يتحال مطراً وتحقق ذلك بدون ريب ساغ لنا حينئذ على موجب القاعدة المتقدمة ان نؤل النصوص التى يتبادر منها أن المطر ينزل من السماء التى هي مسكن الملائكة بان المراد بالسماء فى هذه النصوص هي ما علانا وصار سقفاً لنا وهو السحاب كما هو أحد معانيها اللغوية وقد ذكر هذا التأويل الامام الرازي في تفسير سورة البقرة وأشار اليه الشيخ الشرنبلالي فى شرح مراقي الفلاح أو ان يقال انه لما كان نزول المطر بأسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس المرسلة أشعتها الينا من جهة السماء فتثير وتصعد الاجزاء المائية من أعماق الارض ومن البحار والانهار الى جوّ الهواء فينعقد سحاباً فيمطر كأن الانزال من السحاب حقيقة ومن السماء مجازاً باعتبار السببية والله مسبب الاسباب وقد ذكر هذا التأويل الشيخ اسماعيل حقي فى تفسير سورة النباء وعلى كل فقد اندفعت الشبهة ووافقت النصوص الشرعية حكم العقل والله تعالى أعلم

وان قيل ما حقيقة الرعد والبرق والصاعقة فان الفلاسفة المتأخرين يقولون انها ناشئة عن عمل القوة الكهربائية المتكونة فى السحاب وأقاموا على ذلك فى كتبهم الدلايل من نوع قياس الغايب على الشاهد قلنا اختلف علماء الاسلام المتقدمون في

ذلك فقال بعضهم الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها حيث شاء الله تعالى والصوت المسموع صوته ويسمى رعداً أيضاً وبيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب والبرق ما ينقدح من تلك المخاريق واذا اشتد غضبه طارت من فمه نار هي الصاعقة واستند أصحاب هذا القول الى حديث أحادي روي فى ذلك وقال بعضهم ان الرعد خلق من خلق الله تعالى ليس بملك وروى هذا عن الحسن أي البصري وقال بعضهم ان الرعد والبرق والصاعقة تتولد من اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها فينشأ هذا الصوت المسمى رعدا وينقدح ذلك اللمع المسمى برقاً والصاعقة قصفة رعد هائلة معها نار لا تأتي على شيء الا أتت عليه بالهلاك وعبر البيضاوى عن هذا القول بانه المشهور ولعله مراده المشهور بين علماء المعقول اذا تقرر هذا فاعلم ان اختلاف العلماء فى هذه الاشياء دليل على ان الحديث الذى استند اليه أصحاب القول الاول لم يصح عند الفريق الثاني الذين خالفوهم والا لما قالوا بغير مضمونه فيكون اعتقاد مضمون القول الاول ليس واجباً علينا كبقية العقائد الاسلامية اذ ليس النص الذي استند اليه من النصوص الثابت ورودها عن الرسول قطعياً كالمتواتر والمشهور لكن الصواب عدم مخالفة الحديث وان كان احادياً

واذا لم يقم دليل قاطع على ثبوت خلافه فجميع ما ذكر فيه هو من الجائز العقلي الداخل تحت تصرف قدرة الله تعالى فما المانع ان يكون الله تعالى عظيم القدرة قد خلق ذلك الملك ووكله بتدبير امر السحاب والامطار وينشيء عنه تلك الحوادث من الصوت العظيم والبرق والصاعقة وأما اذا ثبت بالدليل العقلي القاطع ان تلك الحوادث الثلاث انما هي من فعل الكهرباء فلنا حينئذ تأويل نص ذلك الحديث الاحادي فنقول

لا مانع ان الله تعالى قد خلق ملكاً ووكله في تدبير شؤون الامطار وتلك الحوادث الناشئة عن القوة الكهربائية التي لابد فيها من حكم باهرة إنما مبدأها تدبير ذلك الملك وتصرفه في السحاب فاراد بالحديث افادة ان شؤون المطر وتلك الحوادث مرجعها ذلك الملك مع تمثيل وتصوير عظمته فعبر عن الرعد بصوته والبرق بلمعان مخاريقه والصاعقة بشرارة فمه والمراد من جميع ذلك التمثيل والتصوير وهذا الاسلوب مستعمل في اللغة العربية يفهم اصحابها ما هو المقصود منه وورد نظيره في استعمالات الشرع الشريف فما ورد في كلام اهل اللغة العربية منه قول بعضهم يمدح رجلا

ان السماحة والمروءة والندى   في قبة ضربت على ابن الحشرجي

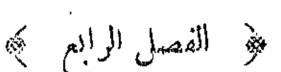
فانه من المعلوم ان السماحة والمروءة والندى هي معان لايمكن أن توضع في قبة مع الممدوح وانما المراد تمثيل وتصوير ملازمة ذلك الممدوح لتلك الصفات الكريمة حتى كانما ضربت عليها وعليه قبة ومما ورد منه فى استعمال الشرع الشريف قوله تعالى (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فانه قد يؤل بان المراد منه تمثيل وتصوير عظمة الله تعالى وقدرته وعظمة سلطانه والافهو سبحانه ليس مشابهاً للحوادث ويستحيل ملاصقته لها بان يقبض على الارض ويأخذ السموات بيمينه سبحانه وبهذا يتضح التوفيق بين ذلك الحديث الاحادي وبين ما فرض ثبوته بالدليل القاطع من كلام الفلاسفة المتأخرين والله تعالى أعلم

فان قيل قد ورد فى القرآن الشريف ما يفيد أن الله تعالى جعل الكواكب زينة السماء الدنيا وجعلها حفظاً من الشياطين ورجوماً لهم لانهم يصعدون الى قرب السماء لاستراق السمع من الملائكة ومن المعلوم ان الفلكيين يقولون بكبر كثير من الكواكب حتى ان منها ما هو اكبر من الارض بمرات وورد أيضاً في بعض الآثار ما يدل على كبر البعض منها ولو رجمت الشياطين بهذه الكواكب الكبيرة لسقطت على الارض وأضرتها ولكان يظهر

النقص في الكواكب المرئية لنا على طول الزمان قلنا ليس المراد من النص القرآني ان نفس الكواكب الكبيرة تكون رجوماً حتى يلزم ذلك بل المراد كما قال الامام الرازي في تفسير سورة الصافات وتفسير سورة الملك أن تنفصل شعل من الكواكب ترجم بها الشياطين وهي الشهب التي نراها منقضة من جهة السماء أو أن الكواكب قسمان قسم منها الكبير الثابت الذي لا يتغير ولا ينقض وقسم منها الصغير الذي ينقض ويكون رجماً للشياطين وهي هذه الشهب التي نراها منقضة فان قيل ان الفلكيين المتأخرين يقولون ان الشهب أجسام صغيرة سابحة في الفضاء تجذب أحياناً الى الأرض عند قربها منها وتنقض ملتهبة من سرعة الحركة قلنا لم يقل النص القرآني أن كل شهاب فهو رجم للشياطين بل مفاده ان الكواكب رجوم للشياطين في الجملة فما المانع أن الله تعالى خالق تلك الاجسام وأقامها في الفضاء وهي من جملة الكواكب ولكنها صغيرة فتارة تنقض الى جهة الارض بسبب جذب الارض لها عند قربها منها وتارة يرسلها الله شهباً على الشياطين المسترقين للسمع فقد ظهر مصداق النص القرآني ان الله تعالى جعل النجوم زينة ورجوماً فالزينة بكبارها والرجوم ببعض صغارها فالفلكيون

ما علموا غير ما دلهم عليه أرصادهم ونحن قد علمنا ان من الكواكب ما يكون رجوماً للشياطين وهو بعض تلك الاجسام الصغيرة وثبت عندنا ذلك بأخبار القرآن الشريف الصادق ولا اشكال في ذلك والله أعلم

فان قيل اذا ثبت ما يقوله الفلكيون من ان الارض كرة قائمة في الفضاء ليست مركوزة على شيء فما يقولون في الأثر المروى عن بعض الصحابة انه سئل سيدنا عيسى عليه السلام عن الارض فقال انها على ثور والثور على صخرة والصخرة على ظهر الحوت والحوت في بحر والبحر على الريح وتحت الريح ظلمة قلنا هذا الأثر ولو فرض نقله حديثاً ليس آية قرآنية ولا حديثاً متواتراً ولا مشهوراً حتى يجب علينا الايمان به كبقية العقائد الاسلامية لعدم اليقين بثبوته وعلى فرض ثبوته عن سيدنا عيسى عليه السلام فيمكن تأويله بكونه من ضرب الامثال وكثيراً ما ترد الرموز وضرب الامثال في كلام سيدنا عيسى عليه السلام كما يعلم ذلك من تتبع المنقول عنه والله اعلم



« في رد شبه شتى عن نصوص شرعية »

اعلم انه قد ورد في القرآن الشريف ما يفيد ان الله تعالى خلق آدم ابا البشر عليه السلام ابتداء من طين بدون اب ولا ام وورد انه سبحانه خلق زوجته حواء منه وقال بعض المفسرين ان المعنى انه خلقها من جنسه ونوعه كما قال تعالى وخلق لكم من انفسكم ازواجاً وقال اكثر المفسرين انه خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى واستندوا في ذلك الى حديث احادي ورد في ذلك وورد في القرآن ايضاً ان الله تعالى خلق سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم رضي الله تعالى عنها من دون اب قال علماء الاسلام ان في خلق هؤلاء المذكورين بهذه الطرق مع خلق بقية البشر على الطريق المعتاد اشارة من الحق تعالى للعباد على تمام قدرته بخلق الانسان على اي كيفية اراد فخلق آدم بدون ذكر وانثى وخلق حواء من ذكر وخلق عيسى عليه السلام من انثى وخلق بقية البشر ذكوراً واناثاً من ذكر وانثى ومن يؤمن بوجود الله تعالى وبكمال قدرته ويتصور ما ابدعه من الحيوانات والنباتات من التراب لا يصعب عليه الايمان بخلق آدم وحواء وعيسى

بالكيفيات المذكورة اذ لا دليل على استحالة شيء من ذلك وقد اخبر به الصادق وما يقوله بعض المتأخرين من الفلاسفة في حق الانسان وبقية الحيوانات من انها تولدت من عناصر الارض ثم اشتق بعضها من بعض بتفاصيل مستطيلة ويسمون قولهم هذا مذهب النشو فهو قول مبني على الظنون والاوهام لا مستند له في باب اليقين كما اوضحت ذلك في الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية فلينظر هناك فلا داعي لنا الى تأويل النص الوارد في خلق آدم من تراب كما يعلم من القاعدة التي تقدم تقريرها من انه لا يسوغ لنا تأويل النص الشرعي الا اذا قام الدليل القاطع على ما يناقض المعنى المتبادر منه وعلى فرض قيام الدليل القاطع على ما يقوله هؤلاء الفلاسفة فيمكن تأويل هذا النص في خلق آدم وحواء بتأويلات مناسبة كما بينته في الرسالة الحميدية ايضاً فارجع اليه واما من لم يكن مؤمناً بالله تعالى وعظيم قدرته فهذا الصواب في حقه كما تقدم مراراً اقامة الشواهد له حتى يصير مؤمناً بالله تعالى وبعد ذلك يتضح له صدق تلك النصوص والله اعلم

كذلك قد ورد في القرآن الشريف في قصة اهل الكهف ما يفيد انهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين وجاء شرح

قصتهم في الاحاديث الشريفة انهم اشخاص مؤمنون على دين سيدنا عيسى الصحيح خافوا من اجبار ملكهم لهم على الكفر وعبادة الاوثان فاختبؤا في ذلك الكهف وارسل الله عليهم النوم وحفظ حياتهم تلك المدة ثم بعد يقظتهم عادوا فناموا وسد عليهم القوم الذين اطلعوا عليهم باب الكهف فهذا الحال من الجائزات العقلية اذ لا مانع من ان الله تعالى يحفظ حياة النائم سنين عديدة فان الغذاء ما هو الا سبب عادي في حفظ الحياة والله قادر على حفظها بدون الغذاء وقد يوجد في الحيوانات لا سيا من نوع الحيات ما ينام تحت التراب مدة الشتاء لا يأكل ولا يشرب ويحفظ الله عليه حياته تلك المدة وكذلك قال بعض الباحثين عن طبقات الارض ان بعض الحيوانات الصغيرة قد تخمد تحت التراب الوفاً من السنين وهي محفوظة الحياة واستشهد على ذلك ببعض ما اكتشفوه ولا يلزم من وجود اهل الكهف الآن ان يطلع عليهم الباحثون عن الآثار القديمة فكم من البقاع لم يصلوا اليها ولم تطؤها اقدامهم ولم يرد حديث صحيح بتعيين مكانهم والله تعالى اعلم

وكذلك قد ورد في نصوص القرآن الشريف وفي احاديث كثيرة ما يدل على ان الرؤيا المنامية قد تدل على امور تحدث

في اليقظة اما صراحة واما بنوع اشارة تحتاج للتفسير قال العلماء ان الرؤيا المنامية هي تصورات فكرية تحدث في ذهن النائم على انواع منها ما سببه بخارات الطعام ومنها ما سببه تفكر الانسان في اشياء حالة اليقظة فيراها او يرى ما يناسبها في حالة النوم ومنها ما سببه من الشيطان لاجل غرور الناس او ادخال الحزن عليه او نحو ذلك من مقاصده الخبيثة ومنها ما يكون من جانب الله تعالى تبشيراً للعباد او تحذيراً او غير ذلك اما صراحة واما اشارة وهذا القسم بنوعيه هو الذي ورد في الشريعة انه جزء من الوحي وكل هذه الاقسام جائزة لا تستلزم محالاً عقلياً وللقسم الاخير شواهد كثيرة تنقل في التواريخ القديمة الى هذا الزمان ونظن انه قل ان يخلو شخص من حصول شيء له من ذلك في مدة عمره ولكن يوجد في فلاسفة هذا العصر من ينكر هذا النوع الاخير من الرؤيا وينكر دلالتها على شيء في اليقظة بدون دليل منه على استحالته او عدم وجوده واذا نقل اليه بعض الشواهد التي حدثت لبعض الناس من هذا النوع يؤول ذلك الشاهد بتأويلات واهية سخيفة فالذي نعتقده ان دلالة هذا النوع من الرؤيا على امور تحدث في اليقظة هو امر جائز عقلاً وقد اخبرت بوقوعه نصوص الشريعة فنؤمن به ونصدق

كذلك قد ورد في بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ما يفيد ان للسحر حقيقة وآثاراً في الخارج قال العلماء ان من السحر ما يوجد له حقيقة وآثار في الخارج مثل قلب بعض صور الحيوان الى صورة اخرى وقتل الحيوان والاضرار ببعض الاجساد وذلك ناشيء اما عن خاصية في نفس الساحر خصه الله تعالى بها او عن استعمال الساحر بعض الرقى والعزائم ولكن كل ما يحدث من اثار ذلك في الخارج فهو بمحض خلق الله تعالى وتلك الخاصية في الساحر واستعماله بعض الرقى والعزائم ما هو الا من الاسباب العادية التي جرت عادة الله تعالى في احداث مسبباتها عندها وليس الساحر خالقاً لشيء من تلك الاثار ومن السحر ما لا اثر له في الخارج حقيقة وانما يحدث عنه في نظر الرائي وفكره صور وهمية متخيلة يظن الرائي ان لها وجوداً في الخارج والحال ليس كذلك وتلك الصور الخيالية تحدث اما بواسطة اعمال كيماوية او باستعمال النواميس الطبيعية كنواميس النور فيرى الانسان اثراً في الخارج لا حقيقة له فيه واما بوسائط اخرى كسرعة العمل وغير ذلك قال اهل السنة والجماعة لا مانع ان الله تعالى يوجد في بعض النفوس خاصة التأثير بالاجسام وقلب صورها واحداث الاضرار ونحو ذلك او يحدث ذلك عند

استعمال بعض الرقى والعزائم ولكن كل ذلك بخلق الله تعالى وجعله تلك الخاصة والرقى والعزائم اسباباً عادية تحدث عندها تلك الاثار كما لا مانع من خلق الله تلك الصور الخالية المتوهمة التي لا حقيقة لها في الخارج عند استعمال بعض النواميس التي تنشأ تلك الصور عنها وان قيل لو جوزنا وقوع السحر يلزم اشتباه الساحر بالرسول الذي يأتي بالمعجزة قلنا ان الرسول يدعي الرسالة من عند الله تعالى ويصدقه الله تعالى باظهار المعجزة على يديه والساحر لا يدعي الرسالة وان اراد ادعاءها فمن حكمة الله تعالى ان لا يظهر الامر الخارق للعادة على يديه او انه ان ادعى الرسالة كان من حكمة الله تعالى ان يطلع بعض من يدعي بينهم على حقيقة اعماله السحرية فلا يلتبس عليهم الحال بالمعجزة كما قال الرازي في حكمــة تعليم الملكين الناس السحر وقد نقلناه فيما تقدم فهذا يكون الفارق بين المعجزة والسحر فان قيل ان الفلاسفة المتأخرين انكروا وجود السحر من النوع الاول وهو ان يكون على يد الساحر ظهور بعض الحقائق من قلب الصور والاضرار بالغير بواسطة خاصية بنفسه او استعمال بعض الرقى والعزائم واحتجوا على ذلك بانه لا يظهر في العقل ارتباط بين تلك الوسائط وظهور تلك الحقائق في الخارج وبان

في جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة في هذا الزمان
ان جميع ما يظهر على ايديهم هي صور وخيالات لا حقيقة لها في
الخارج وهي تحدث على ايديهم بواسطة استعمال بعض النواميس
او بواسطة خفة اليد وسرعة العمل وكثير من السحرة من
اقر بان ما يظهره للعيان ما هو الا صور خالية لا حقيقة لها قلنا
انا معشر اهل السنة نقول ان عدم ظهور ارتباط بين تلك
الوسائط وهي خاصية النفس واستعمال الرقى والعزائم وبين
ظهور تلك الحقائق في الخارج لا يلزم منه عدم وجوده في نفس
الامر فربما يكون ذلك الارتباط موجوداً وهم لم يطلعوا عليه
لا سيما وامر السحر شيء خفي ووجود السحرة قليل وفي ازمنة
متباعدة وهذا المغناطيس لا شك انه يجذب الحديد ومع ذلك لم
يطلع هؤلاء القوم على حقيقة السبب الذي به توجد هذه الخاصية
ولم كان يجذب الحديد دون غيره غاية ما يقولونه ان تركيب
اجزاء المغناطيس تقتضي ذلك وهذا ادعاء لسبب مجمل غير
واضح ولا مقنع للعقل فيه على اننا نقول ان وجود تلك الحقائق
على يد الساحر بمحض خلق الله تعالى وهذا لا مانع منه سواء كان
هناك سبب موجب او لم يكن واما قولهم اننا في جميع ما اكتشفناه
من حقيقة حال السحرة في هذا الزمان قد اتضح لدينا ان جميع

ما يظهر على ايديهم منه هي صور وخيالات لا حقيقة لها في الخارج

فنقول اولاً لا نسلم انهم اطلعوا على احوال كل ساحر في هذا الزمان وثانياً لا مانع ان يكون النوع الاول من السحر قد فقد من العالم كما فقدت عدة علوم وبقي النوع الثاني فقط الذي اطلعوا عليه ونحن لا نقول بوجود النوع الاول دائماً حتى في هذا الزمان بل في نفس الامر هو عزيز الوجود ولا يوجد صاحبه الا في ازمنة متطاولة فالملخص اننا معشر اهل السنة نقول بوجود السحر لا سيما في الازمنة الغابرة كما جاءت بذلك النصوص وبان آثاره بمحض خلق الله تعالى وان لم نطلع على وجود شيء منه في هذا الزمان والله اعلم

كذلك قد ورد في بعض الاحاديث الاحادية ان لبعض الاعين تأثيراً في سقم بعض الاجسام واضرارها وحمل عليه بعض المفسرين تفسير بعض الآيات وقد انكر هذا بعض الفلاسفة المتأخرين والمتقدمين قالوا كيف يعقل ان العين تعمل من بعد وتؤثر في الاجسام بالاسقام والاضرار ونحن نقول

ان ذلك من الجائزات العقلية وحقيقة ذلك التأثير بخلق الله تعالى والعين سبب عادي واذا اريد بيان ذلك التأثير عقلاً فنقول ان الناس مختلفون في خواصهم كما يكون الاختلاف بين

اصناف الحيوانات فما المانع من ان يكون في الناس ذو طبيعة في نفسه ذات سم وضرر فاذا نظر شيئاً بعينه واعجبه وتوجه بنفسه اليه انفصل من عينه في الهواء مادة سامة اذا وصلت الى المرئ اضرت به واي مانع من انفصال مادة من العين عند الانفعالات النفسية كما تنفصل منهـا الدموع عند ذلك وقد قال بعض المتكلمين على خواص الحيوانات ان من الافاعي ما ينظر الى الانسان فيموت بنظره وما يصوت فيموت السامع بصوته واذا صح هذا فتلك الافعي لم يكن قتلها من بعد الا بواسطة سم ينفصل عنها ويصل الى الانسان ومن نظر الى المغناطيس وتأثيره بالحديد من بعد لا يستغرب تأثير العين في الاجسام من بعد وهـذا الذي ذكره من تأثير العين في سقم الاجسام واضرارها هو الذي ثبت في الاحاديث واما ما ينقل من ان العين تهدم المباني العظيمة وتشق الجبال الكبيرة وامثال ذلك فهو شيء منقول في القصص والاخبار الشائعة بين الناس واذا لم يصح في نقول الشريعة الصحيحة فلا يعتمد عليه والملخص انا نقول بجواز تأثير العين في الاجسام بالاسقام والاضرار ووجود ذلك بخلق الله تعالى لورود النص بذلك ولا مانع منه عقلاً ولا يستلزم محالاً والله تعالى اعلم

وكذلك قد ورد النص في بعض الاحاديث الاحادية ان الطاعون من وخز الجن والذي يقوله الاطباء ان مرض الطاعون من فساد الدم الناشيء من فساد الهواء فنقول

اذا تحقق ما يقوله الاطبـاء يمكن ان يقال ان السبب الاصـلي في الطاعون هو تسليط الله تعالى الجن على بني آدم بافساد هوائهم ودمهم فيتولد عن ذلك تلك الغدد الطاعونية فالنص الشرعي اخبر بالسبب الاصلي وكنى عنـه بوخز الجن والاطباء اطلعوا على السبب الاخير فقالوا بما اطلعوا عليـه ولا اشكال في ذلك والله اعلم

وان قيل قد جاء في حديث احادي انه عليه السلام قال لا يوردون ذو عاهة على مصح وقال فر من المجذوم فرارك من الاسد وجاء في حديث آخر انه عليه السلام قال لا عدوى فما التوفيق بينهما قلنا من المعلوم ان اعتقاد اهل الاسلام انه لا تأثير لشيء بطبعه بل كل اثر فهو بخلق الله تعالى وانما قد اوجد الله اسـباباً عادية للآثار والله قادر على تخلف تلك الاثار عن اسبابها وان العمر محتوم لا يزيد ولا ينقص ولا يصيب الانسان الا ما قدر عليه فلا يجوز للانسان ان يعتقد ان المرض الفلاني يؤثر بطبعه ويعدي غير صاحبه وان الانسان قد يعدي بالمرض

ويموت قبل اجله الذي قدره الله له اذا تقرر ذلك فنقول يمكن والله أعلم بمراد رسوله ان المراد من قوله عليه السلام لا عدوي انه لا يجوز اعتقاد العدوى بتأثير الامراض بطبعها وإماتة الانسان قبل أجله ولكن قد توجد في بعض الامراض مثل الجذام والجدري والسل وأمثال ذلك رائحة كريهة ومادة سامة تنفصل من صاحبها وربما تكون سبباً عادياً لحدوث المرض في من يخالطه ويقاربه فيمكن حينئذ والله أعلم أن يكون هذا هو المعنى الذي أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فكما أن شدة البرد وشدة الحرارة والتخمة وأمثال ذلك تكون سبباً للمرض كذلك تلك الرائحة الخبيثة والمادة السامة التي تنفصل من المريض قد تكون سبباً عادياً لمرض الصحيح المخالط له فاذا تجنب المرء أصحاب تلك الامراض تحاشياً عن الاسباب العادية مع اعتقاده أن تلك الامراض ليست مؤثرة بطبعها وان تحاشيه لا يكون مانعاً لقدر الله تعالى ولا مطيلاً له عمراً فلا مانع من ذلك التحاشي مع مراعاة تلك الشروط لصحة الاعتقاد وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم في الطاعون اذا كان في البلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال أيضاً اذا كان في بلد فلا تدخلوه

قال بعض العلماء يريد بقوله لا تخرجوا منه اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله واذا كان في بلد فلا تدخلوه ان مقامكم في البلد الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم ومع ذلك لا مانع للانسان أن يخالط أصحاب الامراض اتكالاً على الله وثقة به تعالى لان حصول الضرر بمخالطتهم غير مقطوع به وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام أكل مع مجذوم في اناء واحد وقال ثقة بالله فبالتأمل في هذا المقام يظهر التوفيق بين الاحاديث الشريفة ويعلم اعتقاد المسلمين في مسئلة العدوي والله تعالى أعلم

وان قيل قد ورد في حديث احادي ما مفاده ان الله تعالى قد جعل ملكاً موكلاً بعروق الارض فاذا أراد الله زلزلة جهة من الارض أمر ذلك الملك فحرك عرق تلك الجهة فتحدث فيها الزلزلة

والفلاسفة يقولون ان الزلزلة تحدث من احتباس ابخرة أو مياه في جوف الارض وتنضغط بالحرارة وليس لها منفذ الى ظاهر الارض فيحدث عنها تلك الحركة العنيفة المسماة بالزلزلة قلنا الذي ورد في الحديث لا مانع منه عقلاً ولكن اذا ثبت بالدليل القاطع ما يقوله الفلاسفة يمكن تأويل ذلك الحديث بان الله تعالى جعل ذلك الملك موكلاً بتدبير الابخرة والمياه التي

في جوف الارض وقد كنى في الحديث عن ذلك بانه موكل بعروق الارض فاذا أراد الله تعالى زلزلة جهة أمر ذلك الملك فسلط الابخرة والمياه وضغطها بالحرارة في جوف تلك الجهة فتحصل الزلزلة فعبر عن ذلك في الحديث بانه يحرك عرق تلك الجهة ولا مانع من الكناية لصعوبة الفهم على العامة أن الابخرة تحرك الارض العظيمة والله تعالى أعلم

ان قيل قد توجد آثار في بعض الكتب في كبر أجسام المتقدمين تحتوي على مبالغات يستبعدها العقل وهي وان لم تكن مستحيلة عقلاً لكن قد اكتشف الباحثون عن الآثار الارضية على أجسام محنطة من تاريخ أربعة آلاف سنة فوجدوها مثل اجسام أهل هذا الزمان فما تقولون في ذلك قلنا ان الذي ثبت في هذا الباب أن الله تعالى ذكر من قبلنا فقال كانوا أشد منكم قوة وقال عن طالوت وزاده بسطة في العلم والجسم وقال في تقريع بعض المتقدمين واذا بطشتم بطشتم جبارين وكل ذلك لا إشكال فيه ولا يعارضه اكتشاف ولا غيره واما ما شاع من قصة عوج بن عنق والمبالغة في كبر جسمه وكذلك ما ينقل ان آدم عليه السلام كان رأسه يصل السحاب والسماء يحاكها فاعتراه الصلع من ذلك فقد قال الامام ابن قتيبة في شرح الاحاديث المشكلة ان هذا شيء

لم يأت به كتـاب ولا ثقة وليس له اسـناد وقال الامام ابن فورك في شرح الاحاديث المتشابهة عن الروايات فى طول آدم قامته انها مما لا يوثق به اذ ليس فى ذلك خبر صحيح ولم يثبت انه قد كانت خلقة آدم على خلاف هذه الخلقة عن الحد الزائد الذي يخرج عن المعهود من متعارف خلق البشر نقول لكن يعارض كلام ابن فورك ما جاء في حديث البخاري الصحيح من أن طول آدم كان سـتين ذراعاً وانه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن فالتحقيق انه على فرض ثبوت أحاديث فى كبر أجسام المتقدمين فيمكن حملها على انهم كانوا اكبر أجساماً من أهل هـذه الازمنة بمـا هو خال عن المبالغة كالسـتين ذراعاً فى خلق آدم وانه من المحتمل ان الاجسام أخذت تصغر فى أزمنة متطاولة لاسباب عادية حتى بلغت مقدار هذه الاجسام المعروفة الآن والذي اكتشفه الباحثون عن الآثار الارضية انمـا هو أجسام وجدت بعد أن وصلت الاجسام فى الصغر الى هذا القدر وما تعنيه الاحاديث الذي فرض صحتها هو فى أجسام أهل ازمنة قديمة جداً ومثل هذا يقال فى طول اعمار المتقدمين فانه قد ورد فى القرآن ان نوحاً لبث فى قومه الف سنة الا خمسين عاماً وورد فى الاحاديث أن آدم عليه السلام عاش الف سنة وهذا أمر

ممكن عقلاً لا استحالة فيه ومن الجائز أن أعمار البشر كانت تطول ثم أخذت تتناقص كما تناقصت أجسامهم حتى بلغت هذا الحد المعلوم والله تعالى أعلم

﴿ الخاتمة ﴾

(نسئل الله حسن الخاتمة)

اعلم انه يجب على المسلمين شرعاً نصب إمام يقوم باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وأخذ الصدقات وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق واقامة الجمع والاعياد ولا يتم جميع ذلك بين المسلمين الا بامام يرجعون اليه في أمورهم يدرؤ المفاسد ويحفظ المصالح ويمنع مما تسارع اليه الطباع وتتنازع عليه الاطماع يعول الناس عليه ويصدرون عن رأيه على مقتضى أمره ونهيه وقد أجمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم على نصب الامام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا أراءكم فقالوا من كل جانب صدقت صدقت ولم يقل أحد منهم لا حاجة بنا الى

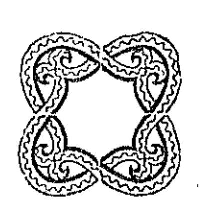
امام ويجب طاعة الامام على جميع الرعايا ظاهراً وباطناً فيما لا يخالف الشرع الشريف لقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وهم العلماء والامراء ولقوله عليه الصلاة والسلام من اطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني وفى صحيح البخاري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به ومما ينبغي نصرة الامام على اعداء الدين والمفسدين ومحبته ونصحه والدعاء له بالصلاح والتوفيق والرشاد والنصر والسداد فان فى صلاحه صلاح الامة وقد قال بعض السلف ما معناه لو اعطيت من الله دعوة صالحة لجعلتها فى الخليفه نسألك اللهم ونتوسل اليك بعظمة ذاتك العلية وصفاتك السمية وباسمائك السنية وبروحانية سيدنا (محمد) خير البرية ان تحفظ وتنصر وتؤيد وتوفق حضرة مولانا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين مولانا السلطان الاعظم والخاقان الافخم سلطان سلاطين العرب والعجم وظل الله على صنوف الامم السلطان ابن السلطان السلطان الغازي (عبد الحميد) خان بن السلطان الغازى عبد المجيد خان بن السلطان الغازى محمود خان أيد الله

خلافته الى آخر الدوران فهو الحامي حوزة الملك والدين والناهض بهذه الامة الى اسمى شرف مكين وان من حسنات عصره السعيد جمع هــذا الكتاب المفيد المسمى « بالحصون الحميدية . لمحافظة العقائد الاسلامية » اذ هو طبق رضائه العالي وأثر احسانه المتوالي جعله الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة للفوز بجنات النعيم

اللهم آمين وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا (محمد)

وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

والحمد لله رب العالمين



﴿ فهرس كتاب الحصون الحميدية ﴾

« لمحافظة العقائد الاسلامية »

صحيفة

صحيفة
